وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعـــة غـرداية

كلية العلوم الإجتماعية والإنسانية

قسم العلوم الإسلامية

الدرس العقدي وأثره على السلوك

مذكرة مقدمة لاستكمال متطلبات نيل شهادة الماستر في العلوم الإسلامية

تخصص: العقيدة الإسلاميّة

إعداد الطالب: الميهوب محمد

إشراف الأستاذ الدكتور: مصطفى وينتن

لجنة المناقشة

الإسم واللقب	الجامعة	الصفة
أ.د مصيطفى محمد السعيد	جامعة غرداية	رئيسا
أ.د مصطفى وينتن	جامعة غرداية	مشرفا مقررا
أ.د محمد قاسم حدبون	جامعة غرداية	مشرفا مساعدا
د.عباس بن شيخ	جامعة غرداية	مناقشا

1444. 1445هـ /2023 . 2024 م

الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة غرداية

كلية العلوم الاجتماعية والإنسانية
قسم العلوم الإسلامية

غرداية في: 2024/09/08

تصريح شرفي للطالب

(يلتزم فيه بالقواعد المتعلقة بالوقاية من السرقة العلمية ومكافحتها وفقا للقرار رقم: 933 المؤرخ في 28 جويلية 2016)

أنا الممضي أسفله:

1) اسم ولقب الطالب (01) : السبهودي محمد

رقم التسجيل: 22988192 78

التخصص: العقيدة الإسلامية

2) اسم ولقب الطالب (02): .....

رقم التسجيل: .....

التخصص: .....

المكلفان بإنجاز مذكرة التخرج لاستكمال متطلبات نيل شهادة الماستر والموسومة بـ:

الدرس العقدي وأثره على السلوك

.....

أصرح بشرفي أني قمت بإنجاز مذكرة نهاية الدراسة المذكور عنوانها أعلاه بجهدي الشخصي، ووفقا للمنهجية المتعارف عليها في البحث العلمي(دليل إعداد مذكرات التخرج)، وبذلك أتحمل المسؤولية الكاملة عن أي مخالفة لقواعد الأمانة العلمية وما يترتب عن ذلك من متابعة بما فيها الإجراءات الإدارية حسب المقررات الوزارية المعمول بها.

التوقيع: الطالب الأول: ..... الطالب الثاني: .....

شوهد بالمصادقة على صحة
إمضاء السيد(ة): .....
غرداية في: 08 سبتمبر 2024
رئيس المجلس الشعبي البلدي

عن رئيس المجلس الشعبي البلدي
وبتفويض منه
ملحق رئيس الإدارة الإقليمية
إمضاء ع رمضاني علي

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة غرداية

كلية العلوم الاجتماعية والإنسانية
قسم العلوم الإسلامية

غرداية في: 09/10/2024

إذن بالتجليد والإيداع [مذكرة ماستر]

الممضي أسفله الأستاذ(ة): أ.د مصيطفي محمد السعيد

رئيس اللجنة المناقشة للمذكرة الموسومة بـ: الدرس العقدي وأثره على السلوك

من إعداد الطالب(ة): 1- الميهوب محمد

2-

إشراف: أ.د مصطفى وينتن

تخصص: العقيدة الإسلامية

أقرّ بأن الطلبة أنجزوا عملهم وفق ما قُدم لهم من ملاحظات وتعديلات في لجنة المناقشة، ويمكنهم تجليد المذكرة وإيداعها عند إدارة القسم قصد إتمام الإجراءات الإدارية اللازمة.

إمضاء المشرف:

إمضاء رئيس لجنة المناقشة

بسم الله الرحمن الرحيم

إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ
ثُمَّ ٱسْتَقَـٰمُواْ تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ
ٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ أَلَّا تَخَافُواْ وَلَا
تَحْزَنُواْ وَأَبْشِرُواْ بِٱلْجَنَّةِ
ٱلَّتِى كُنتُمْ تُوعَدُونَ

(فصلت : 30)

الإهداء

أهدي عملي هذا إلى كل من كان له عليّ فضل من قريب أوبعيد سائلا أن يكون خالصا لوجه الله تعالى راجيا منه السّداد والقَبُول، مُثقلا به صحيفة أعمالي بعدد حروف هذا البحث وأسطره، وهو المتفضّل بإنعامه المضاعف لمن يشاء.

وأصلي وأسلم على من صادف مولد مذكّرتي ذكرى مولده واقترن حبه بحب الله حبيبي رسول الله عليه أفضل السلام وأزكى التّسليم.

أهدي عملي هذا

إلى من كان دعاؤهما لي بظهر الغيب سرّ توفيقي، ونورا أبصر به بيداء الحياة فتزداد همتي القاصرة لبرّهما وما أوفيهما حقا... أبي وأمي حفظهما الله ورعاهما كما رباني صغيرا.

إلى من جمعني بها ميثاق غليظ فسكنت النّفس بقربها، واصطبرت حينا من الدهر تقوّي عزيمتي عسى أن أبلغ القصد والأمل... زوجتي الغالية أدامها الله عونا وسندا.

إلى الثّمر اليانع بإذن ربّه وامتدادِ اسمي وأثري بعد حين... أبنائي وقرة العين .

عماد عبد المعز وعادل عبد القادر، والمؤنسات الغاليات النونات الثلاث: نور، نسرين، نرمين.

إلى جميع الإخوة والأخوات كل باسمه ورسمه وإلى كل من لامس قلبه نور الإيمان وحمل راية التوحيد من المسلمين.

الشكر

أحمدُ اللّه الخالق البارئ، الواحدُ الأحدُ على توفيقه بأنْ أتممت هذا العمل، فاللهم لك الحمد والشكر حتى ترضى، ولك الحمد إذا رضيت، ولك الحمد بعد الرّضا.

. أشكر الدكتور مصطفى وينتن الّذي شرّفني بالإشراف على هذا العمل، .ومتابعته لي بالتوجيه، والتّصويب، والتّذكير.

. أشكر أساتذتي الكرام الّذين أشرفوا على تدريسنا، وتوجيهنا في هذه المرحلة (الماستر) بجامعة غرداية.

. أشكر كل من كان له عليّ فضل تربوي أوعلمي ساهم في وضع لبنة استقام بها فكري واتضحت من خلالها رؤيتي للحياة.

. أشكر كلّ من لايدّخر جهدا في إعلاء كلمة التّوحيد ونصرة المسلمين.

قائمة الرموز والإشارات

الرمز	المعنى
ج	الجزء
ص	الصفحة
ط	الطبعة
د.ت	بدون ذكر تاريخ
م	ميلادي
هـ	هجري
د.ط	بدون طبعة
ع	العدد

ملخّص الدراسة:

تأتي هذه الدراسة في إطار البحث العقدي الذي يتجه نحو تفعيل العقيدة الإسلامية في واقع الحياة بما يتوافق مع مقاصدها وأبعادها الرامية إلى ترقية وتزكية النفوس، بما ينعكس إيجابا في الجانب التطبيقي والسلوكي للعقيدة على مستوى الفرد والجماعة، وهو الدور المنوط بالدرس العقدي المعاصر الذي تتعاظم أهميته يوما بعد يوم في ظل ما يواجهه المسلم من تحديات مصيرية.

Abstract of the research

This study comes within the frame work of the nodal research towards the operationalization of the Islamic faith in the compatibility of life in line with its purposes and dimensions aimed at the promotion and accreditation of souls so as to reflect positively on the applied and behavioral aspect of the faith at the individual and collective level role in today's nodal study, which is increasingly important day by day in the face of the fateful challenges faced by Muslims.

مقدمة

مقّدمة

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد ألا إله إلا الله وحده لا شريك له،وأشهد أن محمدا عبده ورسوله صلى الله وسلم عليه وعلى آله وصحبه وسلم تسليما كثيراً، وبعد:

لقد كرّم الله عزوجل الإنسان في هذه الدنيا تكريما يجعله يأخذ بأسباب الحياة ليبلغ منازل الآخرة ودرجاتها العلا، فحباه بنعمة العقل إعلاء لشأنه بين الخلائق، وزيّنه بنعمة الإسلام هداية منه سبحانه وتعالى لعقيدة التّوحيد، وبعث إليه رسلا وأنبياء برسالة الإسلام داعين إلى التّوحيد الخالص بأقرب الطرق وأيسرها على النّاس، وكان خاتمهم محمد صلى الله عليه وسلم النّموذج الأمثل والأكمل لتطبيق هذا المنهج الربّاني الذي استمد مادته وموضوعه من القرآن الكريم، مما جعل من منهجه عليه الصلاة والسلام وهو يدعو إلى عقيدة التّوحيد –تدريسا وممارسة– منهجا خاصا يتناسب مع جميع النّاس ومختلف الشرائح كانت ترجمته العملية وواقعيته المثالية ظاهرة في جيل الصحابة رضوان الله عليهم، إذ كانوا بحق خير من فقه هذه العقيدة وتمثّلها واقعا سلوكيا في الحياة على مستوى الفرد والأمة الإسلامية.

والمتأمل في واقعنا اليوم يلاحظ أنّ هناك بونا شاسعا في فاعلية وانعكاس العقيدة الإسلامية –ذاتها– على السلوك بين سلف هذه الأمة من الصحابة وبين جيل اليوم.

ويُعدّ الدّرس العقدي في إطار امتداده المنهجي والموضوعي للعقيدة الإسلامية أحد أهم مقومات التّزكية التي تكسب الفرد والأمة مناعة إيمانية تحصنهما من الوقوع في أي انحراف فكري أو سلوكي قد يحول دون تحقيق مقاصد العقيدة الإسلامية وأبعادها الوظيفية، ويأتي هذا البحث ليسلط الضوء على هذه الحيثية باعتبار أن فاعلية العقيدة الإسلامية وتأثيرها التطبيقي المباشر في سلوك الفرد والمجتمع مرهون بالدرس العقدي ورؤيته التّوحيدية وذلك تحت عنوان:

"الدرس العقدي وأثره على السّلوك"

أولا – إشكالية البحث:

يعالج البحث إشكالية رئيسة تتمثّل في بيان أثر الدرس العقدي على سلوك الفرد والمجتمع وأدائهما المعاصر الذي لم يعد يترجم ما في الدرس العقدي الذي كان على عهد الرسول صلى الله عليه وسلم والذي أثمر مجتمعا ظل نموذجا في الصلاح والفاعلية، مع العلم أنّه لم يتغير شيء من هذه العقيدة ولا تبديل فيها ولم يتوقف الدرس العقدي على الأقل على المستوى الشكلي.

فهل يستطيع الدرس العقدي في الزمن الراهن أن يرجع إليه الدور نفسه؟ وماهي الآليات التي ينبغي اتّباعها والاستفادة منها للوصول إلى هذا التأثير؟

وتتفرّع عن هذه الإشكالية جملة من التساؤلات يجاب عنها من خلال مباحث ومطالب هذه المذكرة ومن أهمها:

– ما مفهوم الدرس العقدي ؟ وما العلاقة بينه وبين العقيدة الإسلامية؟.

– هل هناك ترابط بين الإيمان والسلوك؟ وماهي المستويات الإصلاحية التي تشملها تّزكية النفس؟

– مامدى فاعلية الدرس العقدي في توحيد الأمة ومواجهة التّحديات العقدية المعاصرة ؟

ثانيا: أسباب اختيار الموضوع

–إدراك أهمية العقيدة في حياة المسلم وضرورة المساهمة في إعادة تفعيلها بمثل هذه البحوث.

– إثراء المكتبة الإسلامية بالبحوث المتخصصة في الموضوع إذ جلّ الدراسات حسب ما اطلعت عليه تعرض لأثر العقيدة من الناحية الموضوعية التقريرية لا من الناحية السلوكية العملية.

ثالثا: أهمية الدراسة

– أنه يساهم في الوقوف على الجانب الوظيفي والعملي للدّرس العقدي في إطار المنظومة الإيمانية والقيمية.

– مساهمته في تصحيح بعض المفاهيم العقدية المغلوطة، واقتراح حلول علاجية عقدية لتوجيه أو تعديل سلوك الفرد والمجتمع في إطار عملية الإصلاح.

– أنّه يقرّر المسائل المرتبطة بالتّوحيد ومقتضياته في ضوء المرجعيات الضابطة والمهيمنة والمتمثّلة في القرآن والسنة النبوية، بأسلوب يتسم بالبساطة واليسر، لا من خلال علم الكلام والنظريات الفلسفية.

– إبراز بعض التحديات التي تهدد الفرد والأمة وتجسد الصراع العقدي كظاهرتي التّكفير والإلحاد.

رابعا: أهداف الدراسة

من الأهداف التي أردت بلوغها:

– الاقتداء بمنهج النّبي صلى الله عليه وسلم في عرض مسائل العقيدة الذي يستمد منهجه من القرآن والسنة النبوية والجامع بين النظرية والتّطبيق.

–تفعيل العقيدة الإسلامية في الواقع بإصلاح سلوك الفرد والمجتمع انطلاقا من مقاصدها وأبعادها.

– معالجة بعض المظاهر الخطيرة في المجتمع كالتّعصب المذهبي قصد توحيد الأمة ولم شملها.

خامسا: المنهج المتّبع

نظرا لطبيعةالبحث وما يقتضيه من توصيف وتحليل لحيثياته المختلفة فقد اعتمدت المنهج الوصفي الذي فرض استخدام عدة آليات، كان من ضمنها الاستقراء لبعض النصوص الشّرعية، بالإضافة إلى المنهج التحليلي الذي استخدمته للوقوف على عبارات بعض العلماء منها شرحا أوبيانا لمقصود.

سادسا: الدراسات السابقة

في حدود اطلاعي لم أقف على دراسة تتضمن ما جاء في بحثي من جمع بين الدرس العقدي والسلوك وبيان الأثر بينهما بصفة مستقلة ومفردة، إلا إنّه من خلال التتّبع وجدت دراسات قيّمة يمكن الاستفادة منها في جانب من جوانب بحثي ومن ذلك:

1- الدرس العقدي عند محمد المبارك : وهو عبارة عن مذكرة لنيل درجة الماجستير في العلوم الإسلامية تخصص عقيدة، من إعداد الطالبة فتيحة دوار ، جامعة الجزائر ،كلية العلوم الإسلامية قسم العقائد والأديان والتي تم مناقشتها سنة 1431هـ-2010م ، ويهدف البحث إلى بيان منهج الأستاذ محمد المبارك في عرض العقيدة الإسلامية وبيان أصالة منهج الأستاذ المبارك في ذلك بالإعتماد على المصادر الأساسية من القرآن والسنة وفهم السلف الأوائل ، حيث تطرق إلى جل مباحث العقيدة الإسلامية من الإلهيات و السمعيات إلى المعاد والوجود والإنسان ، كما أنه تجاوز الأساليب القديمة للمتحدين ، وهو بهذا صاحب منهج خاص ومتميز في العصر الحديث .

2– الدرس العقدي المعاصر: وهو كتاب للباحث الأستاذ عمرو بسيوني يأتي ضمن دراسة الحالة المعرفية الاعتقادية الإسلامية، على مستوى الدرس، وقد صدر الكتاب عن مركز نماء للبحوث والدراسات ضمن سلسلة "قراءات في الخطاب الشرعي" بتاريخ 2015/09/22 ، وقد تضمن قراءة تحليلية للدرس العقدي عند السلفية والأشعرية والشيعة .

3- أصول الإيمان التوحيد ووحدة الأمة: وقد اشترك في تأليفه الدكتور مصطفى وينتن، والدكتور محمد بابا عمي،نشرت دار الفكر بدمشق الطبعة الأولى منه سنة 2017م وهو كتاب يدخل ضمن مشروع توحيد الأمة ،حيث حوى في شطر منه دراسة "أصول الإيمان " التي عليها تُبنى الوحدة وبحث في كيفية رجوع الأمة إليها باعتبارها سبباً للوحدة، كما تضمّن تحليلا لواقع الأمة وبيان موقفها من أصول إيمانها.

4- الدرس العقدي الإسلامي المعاصر: ملامحه ومميزاته من خلال دراسة نماذج: للأستاذ بودقزدام عمران وهو عبارة عن مقال علمي محكم نشر سنة 2020م في مجلة الصراط للبحوث والدراسات الإسلامية في عددها الثاني جامعة الجزائر 1-بن يوسف بن خدة كلية العلوم الإسلامية-خروبة-، ويعرض فيه إلى الحديث عن التحدّيات غير المسبوقة التي تواجه الأمة الإسلامية وما حملته من رؤية مخصوصة للعالم مناقضة في كثير من مبادئها وكلياتها للتصور الإسلامي مهدّدة بذلك مرجعيتها العقدية والتنبيه إلى ضرورة تبني علماء العقيدة لخطاب ودرس عقدي متجدد يستجيب للتحديات.

5- مراعاة المقام في الدرس العقدي منذ العهد النبوي حتى عصر الميتافيرس: وهو عبارة عن بحث مقدم إلى المؤتمر العلمي الخامس المنعقد في 18مارس2023م بكلية الدراسات الإسلامية والعربية للبنات بالإسكندرية جامعة الأزهر ،نشربتاريخ: 2023/03/1م على شكل مقال علمي في مجلة كلية الدراسات الإسلامية والعربية للبنات بالإسكندرية (المجلد39 ،رقم الإصدار: 5) للدكتورة سونيا لطفي عبد الرحمن الهلباوي أستاذ العقيدة والفلسفة المشارك جامعة الأزهر ،حيث بيّنت فيه أن للدرس العقدي طبيعة مرنة وقدرة على معايشة الواقع ومعالجة إشكالاته، وأن الدرس العقدي تطور في العصر الحديث من حيث أساليب التناول وآليات التفعيل الواقعي لدور العقيدة في مواجهة التحديات الفكرية والسلوكية في ظل المستجدات المختلفة.

سابعا: صعوبات البحث

1-يعتبر عامل الوقت وبعض الظروف الشخصية أكبر عائق يمكن أن يواجه أي باحث بسبب ضيق الوقت المخصص للدراسة.

2- قلة الدّراسات المتخصصة والمتوّسعة في الموضوع وذلك في حدود ما اطلعنا عليه.

وبفضل من الله استطعت أن أتغلب على كثير من العقبات يحذوني في ذلك أمل النجاح والتّوفيق.

ثامنا: خطة البحث

بغية الوصول إلى أهداف البحث ارتأينا تقسيمه إلى مقدمة ومبحثين يتقدمهما مبحث تمهيدي وخاتمة على النحو الآتي:

مقدمة: وفيها تم عرض لإشكالية البحث، ثم لأسباب اختيار الموضوع وأهمية الدراسة، وكذا عرض للأهداف المراد تحقيقها من خلال البحث، مع الإشارة إلى المنهج المعتمد في الدراسة ، ثم الدراسات السابقة في الموضوع، لنقف بعدها على بيان أهم الصعوبات التي واجهتنا في بحثنا، معرجين في الختام إلى عرض الخطة المتبعة في البحث.

مبحث تمهيدي: جاء بعنوان "ضبط المصطلحات" ويحتوي على ثلاثة مطالب، الأول تحدثنا فيه عن مفهوم العقيدة الإسلامية وعلاقتها بالإيمان مع بيان خصائصها، كما أشرنا فيه إلى أصول الإيمان الستّة مع ذكر أدلتها من القرآن والسنّة ثم قمنا بتعريفها تفصيليا، لننتقل بعدها للحديث بعدها عن مقاصد العقيدة، أما المطلب الثاني فخصّصناه لبيان مفهوم الأثر والسلوك حيث تطرقنا تبعا لذلك إلى التعريف اللغوي والاصطلاحي لكل منهما .

المبحث الأول: وجاء موسوما بعنوان " الدرس العقدي ودوره في تفعيل العقيدة" واشتمل على مطلبين خصص الأول منه للحديث عن مفهوم الدرس العقدي وذلك ببيان تعريفه وأهميته وأبعاده التي يرمي إلى تحقيقها والوقوف على معوقاته وضرورة تطويره ، كما تطرقنا فيه إلى بيان قسميه الشفوي والكتابي مع التمثيل لهما، ، أما المطلب الثاني فكان بمثابة الجانب التطبيقي للمطلب الأول حيث تطرقنا فيه لبيان علاقة الدرس العقدي بتزكية النفس انطلاقا من تعريف التزكية والوقوف على أهميتها في بناء السلوك بالنسبة للفرد والمجتمع ، ثم الحديث عن الأسس العقدية للتزكية مع بيان وسائلها.

المبحث الثاني: جاء بعنوان **"تحديات وتجليات الدرس العقدي "** وهو مبحث يجسد تلك الإسقاطات العملية للجانب النظري للدرس العقدي وقد اشتمل على مطلبين الأول منه تطرق لبيان بناء الفكر الإسلامي والتّوجيه الفطري السّليم، أما الثاني فتمثل في نماذج تطبيقية تبيّن أثر الدرس العقدي في ظل ما تشهده الأمة الإسلامية من تحديات عقدية معاصرة تمسّ العقيدة ممثلة في الصراع العقدي حول القدس بالإضافة إلى ظاهرتي التكفير والإلحاد.

ثم الخاتمة: وقد رصدت فيها أهم النتائج المستخلصة من البحث، وأرفقتها بعضا من التوصيات.

مبحث تمهيدي

ضبط المصطلحات

بما أن الحكم على الشّيء فرع عن تصوره كان لزاما علينا أن نفرد مبحثا تمهيديا نعرف من خلاله بأهمية المصطلحات الرئيسة ذات الصلة المباشرة بموضوع هذا البحث، والرامي إلى النظر في الأفق العام للعقيدة الإسلامية الصحيحة، وما ينبثق عنها من آثار على الفكر والسلوك، والوقوف على الجانب الوظيفي والعملي للدّرس العقدي في إطار المنظومة الإيمانية والقيمية، ومدى تفاعل الإنسان المسلم مع الكون والحياة.

المطلب الأول: مفهوم العقيدة الإسلامية وعلاقتها بالإيمان

الفرع الأول: تعريف العقيدة الإسلامية .

أولا: تعريف العقيدة:

1-العقيدة لغة:

بالرجوع إلى قواميس اللغة العربية ومعاجمها، والبحث عن كلمة العقيدة نجد أنّها مأخوذة من الفعل (**عَقدَ**) يعقد عقداً، وتجمع على: عقود، وتأتي العقيدة على عدة أوزان منها: فعيل (عقيد)، واسم الفاعل منها: على وزن فاعل (عاقد)، وتأتي على وزن مَفْعَل للدلالة على اسم المكان(معقد)، واسم مفعُول على وزن مفعول (معقودة).[1].

وبتعدد هذه الصيغ تعدّدت معانيها، إلاّ أنّ مدار هذه الصيغ لم يخرج عن ثلاثة معانٍ هي:

أ-الرّبط والشّد بقوة: ومنه عقدةُ النكاح، و: هو الشّدُ والرّبط وعقدةُ النكاح والبيع: وجوبهما.[2]

ومثال ذلك من القرآن المجيد قوله تعالى: ﴿ وَلَا تَعْزِمُوا عُقْدَةَ النِّكَاحِ حَتَّى يَبْلُغَ الْكِتَابُ أَجَلَهُ ﴾ [البقرة: 235]

ب-التّأكيد والوُجوب والإبرام:ومنه عقد العهد واليمين يعقدهما عقْدًا وعقّدهما: أكدّهما. وتعاقد القوم: تعاهدوا [3]، ومنه قوله تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَوْفُوا بِالْعُقُودِ ﴾[سورة المائدة: 1]

ت-اللّزوم: عقد قلبه على الشّيء: لزمه. وفي هذا المعنى ماجاء في الصحيحين أنّه قال صلى الله عليه وسلم:(الخيل معقودٌ في نواصيها الخيرُ الأجرُ والمغنمُ إلى يوم القيامة)[4]

أي مُلازم لها كأنّه معقود فيها.

ونستنتج أنّ مادة عقد يعقدُ: تدور حول الّشد والربط والتوثيق، وهو موافق لقوله تعالى:﴿ فَمَن يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِن بِاللَّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَىٰ لَا انفِصَامَ لَهَا ﴾[البقرة: 256]

---

[1]أنظر: مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروز ابادي، القاموس المحيط، تحقيق أنس محمد الشامي وزكريا جابر أحمد، د.ط، دار الحديث، القاهرة،، 1429هـ-2008م، ص 1118.

[2]أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم ابن منظور الإفريقي المصري، لسان العرب، المجلد الثالث، د.ط، دار صادر بيروت،. د.ت ص296،298.

[3]أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم ابن منظور الإفريقي المصري، لسان العرب، مرجع سابق، ص297

[4]صحيح البخاري، كتاب الجهاد والسير، باب الخيل معقود في نواصيها الخير إلى يوم القيامة76/4 ،حديث رقم 2869.

2- العقيدة اصطلاحا:

عُرّف مصطلح العقيدة عند علماء الإسلام قديما وحديثا بتعريفات كثيرة ومختلفة تتفق عموما في ذات المعنى ألا وهو التّصديق الجازم الذي لا يخالطه شك أوريب، فهي مرادفة للإيمان كما أنّها أطلقت على العلم الذي يتعلق بقضايا التوحيد والإيمان وهي تقابل الشريعة إذ الإسلام عقيدة وشريعة. ومن هذه التّعريفات الاصطلاحية للعقيدة التي تؤكد هذا المفهوم مايلي:

أ- "أنّها التّصديق بالشيء والجزم به دون شك أو ريب، فهي بمعنى الإيمان، يقال اعتقد في كذا أي آمن به، والإيمان بمعنى التصديق، فيقال آمن بالشيء أي صدّقه تصديقاً لاريب ولا شك معه "[1].

ب- " العقيدة هي مجموعة من قضايا الحقّ المسلّمة بالسمع والعقل والفطرة يعقد عليها الإنسان قلبه، ويُثني عليها صدره جازما بصحتها، قاطعا بوجودها وثبوتها."[2]

ت- "العقيدة هي الطاقة الكبرى التي تحافظ على بناء الإنسان من الانهيار لأن هذه العقيدة تحتفظ في جوهرها بقوة سماوية تخضع الدنيا كلها والحياة بأسرها لسلطانها ".[3]

ومما تجدر الإشارة إليه في معرض تعريف العقيدة هو أنّ لفظ العقيدة درج على استعماله كثير من العلماء القدامى أو المحدثين، غير أنّ فريقا آخر آثر استعمال لفظ الإيمان بدل لفظة العقيدة، وهو اللفظ الذي استعمله القرآن الكريم، واستعمله الرسول صلى الله عليه وسلم في أحاديثه.

ونخلص مما سبق إلى أن العقيدة هي ما يعقد المرء عليه قلبه، ويدين به لله مما هو مطلوب علما، اعتقادا جازما بأصول الإيمان الثابتة بالوحي، ويكون هذا الاعتقاد مطابقا للواقع يصل بصاحبه إلى درجة اليقين فلا يقبل شكا أو ريبا.

"فهي الإيمان الجازم بالله وما يجب له في ألوهيته وربوبيته، وأسمائه وصفاته...، وبكل ما جاءت به النصوص الصحيحة من أصول الدين. "[4]

---

[1] سيد سابق، العقائد الإسلامية، ط2، مطبعة حسان، مصر،د.ت،، ص 08.

[2] أبوبكر جابر الجزائري، عقيدة المؤمن، د.ط، مكتبة العلوم والحكم، السعودية، د.ت، ص21.

[3] عبد العال سالم مكرم، أثر العقيدة في بناء الفرد والمجتمع، ط1، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1408هـ-1977، ص75.

[4] يوسف القرضاوي، التربية الإسلامية ومدرسة حسن البنا، ط3، مكتبة وهبة، القاهرة، 1412هـ-1992م،ص 9.

الفرع الثاني: خصائص العقيدة الإسلامية

إنّ إضافة وصف (الإسلامية) للفظة العقيدة يصرفها بلا شك عن غيرها من العقائد الفاسدة غير المطابقة للواقع والحق الثابت لأنها لا تستند لوحي إلهي.

ومن هذا المنطلق يمكن القول أنّ للعقيدة الإسلامية خصائص ومميزات لا تتوفر في غيرها من العقائد الأخرى، وهو سرّ بقائها ورُسوخها إلى يوم الدّين، ومن أهم هذه **الخصائص** ما يلي[1]:

1- ربّانية المصدر:

إذ تستمد أصولها من الوحي، فهي عقيدة إلهية، تستوجب من صاحبها الإخلاص والتجرّد لله، وأن يحرر المسلم ولاءه لله ورسوله والمؤمنين. **قال تعالى:**

﴿ وَوَصَّىٰ بِهَا إِبْرَاهِيمُ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ يَا بَنِيَّ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَىٰ لَكُمُ الدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾ [البقرة: 132]

2- موافقة الفطرة

فالعقيدة الإسلامية لا تناقض بشكل أو بآخر ما فُطر عليه الإنسان من معرفة بخالقه، فأصولها العقدية مغروسة في النّفس السّوية التي تنساق إليها دون سابق نظر أو سابق فكر بدليل قوله تعالى: ﴿ فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَٰلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾[الروم: 30]

وفي هذا بيان أن ما يُفطر عليه الإنسان هو في الأصل الإسلام لا غير وهو الموافق لما جاء في العقيدة الإسلامية، وأنّ ما يطرأ عليها من انحراف يكون في الغالب عن طريق التعليم أو التلقين. [2]

3- التوقيفية والثبات

وهي امتداد للخاصية الأولى –ربّانية المصدر- فلا مجال فيها لتصور أو رأي أو اجتهاد يقتضي الزيادة أو النقصان، وأيّ إضافة أو تعديل يُعدُّ اتهاما بالقصور والإخلال في وظيفة الأنبياء والرسل أجمعين قال تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ۖ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ﴾[المائدة: 67]

---

[1] رابح الكردي، محمد الحاج، كايد فرعوش ، محمد الخطيب، برنامج التربية رقم المقرر 5123، عقيدة إسلامية(1)، ط1،منشورات جامعة القدس المفتوحة، فلسطين، 1993م، ص22.

[2] انظر نعيم يوسف، أثر العقيدة في حياة الفرد والمجتمع، ط1، دار المنارة، المنصورة، 1421هـ -2001م، ص 22.

4- الشّمول

بما أنّ الإسلام دين شامل وكامل فقد راعى مصلحة الفرد والجماعة في جميع مناحي الحياة فأظهر في مجموعه ومضمونه شمولية العقيدة الإسلامية -باعتبارها أساس هذا الدين-ونظرتها للوجود كله إذ" تتضمّن أجزاء الوجود بالكون الفسيح والإنسان بمكوناته الشاملة للجانب الروحي والجسدي والحياة المحيطة بالإنسان بكل مظاهرها "[1].

فهي تعرفنا عن الله تعالى والكون والحياة والإنسان معرفة صحيحة شاملة لم يسبق لها مثيل في كل العقائد والفلسفات البشرية الوضعية، مما يؤكد على عالميتها وعدم عدم تجزئتها فهي تجمع بين الوجدان والفكر، وبين العلم والعمل، وبين الظاهر والباطن وتبيّن خضوع الكون كله للإرادة والإلهية.

5- بُرهانية مُقْنعة

تتميز العقيدة الإسلامية بإقامة البراهين والحجج لإثبات صحة أصولها وأركانها بما يحقق مفهوم الإيمان وذلك بدعوتها الصريحة للتبّصر واستخدام العقل قال تعالى:﴿ أَفَلَمْ يَهْدِ لَهُمْ كَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُم مِّنَ الْقُرُونِ يَمْشُونَ فِي مَسَاكِنِهِمْ ۗ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّأُولِي النُّهَىٰ﴾[طه: 128]

وإطلاقه إلى معرفة خالقه عن طريق العلم الصحيح يحقّق الخضوع والانقياد لله وحده، قال تعالى: ﴿ قُلْ هَٰذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ ۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي ۖ وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ [يوسف: 108].

6- وسطية واقعية

أي أنّ العقيدة الإسلامية وعلى خلاف كل العقائد الفاسدة تنظر إلى كل الأمور بإنصاف وتجرد فليس فيها إفراط ولا تفريط، وبهذا استحقت أمة لا إله إلا الله محمد رسول الله لقب الأمة الوسط. قال تعالى:

﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا ﴾ [البقرة: 143]

وقد" أثمرت وسطية العقيدة الإسلامية جيلا فريدا، وهو جيل الصحابة رضي الله عنهم، فهم القدوة للمسلمين في اعتدال المنهج، واستقامة الطريق، وسلامة الفكر والسلوك من الإفراط والتفريط"[2].

---

[1] مصطفى وينتن، محمد بابا عمي، أصول الإيمان التوحيد ووحدة الأمة، ط1، دار الفكر، دمشق، 1438هـ-2017،ص91.

[2] أحمد عبد الصمد محمد الأمين، وسطية العقيدة الإسلامية وأثرها في تحقيق الأمن الفكري، مجلة أبحاث، المجلد 11، العدد 1، مارس 2024، كلية التربية، ص، 283، جامعة الحديدة، الموقع الإلكتروني http//abhath-ye.com.

7- اليُسر والوضُوح

من أهم ما تميز به الدين الإسلامي عموما هو اليُسر والوضوح، وقد نال العقيدة الإسلامية من ذلك نصيب تمثل في يسر أحكامها وأوامرها، ومرونة تطبيق مبادئها وأصولها فهي تسع الجميع على اختلاف درجاتهم ومستوياتهم العلمية

فهذه" هي القاعدة الكبرى في تكايف هذه العقيدة كلها فهي ميسرة لا عسر فيها "[1].

قال تعالى ﴿ يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ ﴾[البقرة: 185].

وفي ختام الحديث عن خصائص العقيدة الإسلامية يمكننا القول أن المسلم يزداد بمعرفتها إيمانا وتمسكا بعقيدته، فيعتدل سلوكه قولا وعملا وتطمئن نفسه، وتتحقق عبوديته الحقّة لله عزوجل – المبنية على عقيدة التوحيد–بالامتثال لأوامره واجتناب نواهيه، وتقبل سائر أعماله تبعا لصحتها، فيحقق الغاية من وجوده وخلقه، ويُحصّل السعادة في الدنيا والجزاء الأوفى في الآخرة.

" ومعلوم بالأدلة الشّرعية من الكتاب والسُنة أنّ الأعمال والأقوال تصّح وتُقبل إذا صدرت عن عقيدة صحيحةٍ، فإذا كانت العقيدةُ غير صحيحة بطُل ما تفرّع عنها من أعمال وأقوال".[2]

قال الله تعالى ﴿ مَن يَكْفُرْ بِالْإِيمَانِ فَقَدْ حَبِطَ عَمَلُهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾[سورة المائدة: 5].

الفرع الثالث: أصول الإيمان ومقاصد العقيدة الإسلامية

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: " فأصل الإيمان في القلب، وهو قول القلب وعمله، وهو إقرار بالتصديق والحب والانقياد ".[3]

لذا وجب علينا التطرق إلى هاته الأصول ببيان مقصودها والوقوف على دليلها والتعريف بها إجمالا وتفصيلا في ضوء الكتاب والسنة وأقوال العلماء فيها.

أولا: أصول الإيمان الستّة وأدلتها

لقد دلّت نصوص الكتاب والسُنّة على أنّ الإيمان يقوم على الأصول الستّة وهي: الإيمان بالله وملائكته، وكتبه، ورسله، واليوم الآخر، والقدر خيره وشرّه.

---

[1] سيد قطب، في ظلال القرآن، المجلد 1،ج2، ط32، دار الشروق، القاهرة، مصر،، 1423-2003م، ص172.

[2] عائشة بنت محمد بن سعد القرني، العقيدة الإسلامية وأثرها على المجتمع دراسة عقدية دعوية، قسم الشريعة والدراسات الإسلامية، كلية الآداب والعلوم الإسلامية، جامعة الملك عبد العزيز، المملكة العربية السعودية، ص377.

[3] مجموع الفتاوى، شيخ الإسلام أحمد بن تيمية، جمع وترتيب عبد الرحمن محمد بن قاسم نرئاسة الحرمين الشريفين، د.ط، طبع بإدارة المساحة العسكرية، القاهرة، 14،1404،ص119.

1-أدلتها من النصوص الشرعية:

أ- من القرآن الكريم:

قوله تعالى ﴿ آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ ۚ كُلٌّ آمَنَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِ ۚ وَقَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا ۖ غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ﴾[البقرة: 285].

وقوله تعالى: ﴿ إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ﴾[القمر: 49]

ب- من السُنّة النّبوية:

ما ثبت في صحيح مسلم من حديث عمر بن الخطاب –رضي الله عنه- المشهور بحديث جبريل أنّ جبريل سأل النّبي صلى الله عليه وسلم فقال: ".[1]فأخبرني عن الإيمان قال :(أن تؤمن بالله وملائكته ،وكتبه ورسله واليوم الآخر ،وتؤمن بالقدر خيره وشرّه قال : صدقت).

وما يمكن أن نستخلصه من عرضنا لهاته النصوص الشّرعية أنّ الإيمان ينحصر في ستّة أصول لا يكتمل إيمان العبد إلا بالاعتقاد الجازم بها والإتيان بها جميعا دونما زيادة أو نقصان.

2- التعريف بأصول الإيمان الستّة

أ- الإيمان بالله:

إنّ الإيمان بالله وحده هو الأصل وكل أركان العقيدة الأخرى مُضافة إليه وتابعة له، باعتباره الأساس المتين الذي يقوم عليه الإسلام وتتفق عليه دعوة جميع الأنبياء والرسل عليهم الصلاة والسلام.

قال تعالى: ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ﴾[الأنبياء: 25]،ويستوجب قول لا إله إلا الله أنّ كل ما في الكون منبثق عن إرادة هذا الإله الواحد الفرد الصمد، وأنّ ما يجري على جميع المخلوقات ويسري عليهم من تدبير وتقدير، لا يخرج في مجموعه عن إرادته ومشيئته سبحانه وتعالى فيقول عزّ وجل ﴿ قَالَ رَبُّنَا الَّذِي أَعْطَىٰ كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَىٰ﴾ [طه: 50]

كما أنّه لا يُقبل إيمان عبد عند الله مالم يقم بتوحيده اعتقادا وعملا، والشّرك بالله سبب في إحباط الأعمال.قال الله تعالى ﴿ وَلَقَدْ أُوحِيَ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾[الزمر: 65]

[1] أخرجه الإمام مسلم في صحيحه ،كتاب الإيمان، باب بيان الإيمان والإسلام والإحسان ج1، الباب1 ،رقم الحديث 1،ص37.

يقول الشيخ الطاهر بن عاشور " والحبْطُ: البطلان والدّحضُ، حبط عمله: ذهب باطلا. والمراد بالعمل هنا: العمل الصّالح الذي يُرجى منه الجزاء الحسن الأبديُّ."[1]

ومن الأمثلة العملية للدّرس العقدي التي ترسخ وتثبت الإيمان بالله –التوحيد– في نفس المسلم وتؤثر في سلوكه وفق المنهج والطرّح النّبوي قوله صلى الله عليه وسلم: (إنّ اللّه حرّم على النّار من قال: لا إله إلاّ إله يبتغي بذلك وجه اللّه)[2].فالمسلم متى استحضر في ذهنه صورة النار وعذابها – جهنّم –، واستشعر رقابة المولى عزوجل وأنّه مطّلعٌ على النّوايا والسّرائر، ولامس قلبه رضى الله والنّجاة في الآخرة، خشع ولان قلبه واعتدل سلوكه في ذاته ومع الآخرين، يدفعه في ذلك كلّه إلى الامتثال لأوامره واجتناب نواهيه بين الخوف والرّجاء قال تعالى:

﴿ أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ ﴾[النحل: 36]

وقال أيضا: ﴿ فَمَن كَانَ يَرْجُو لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا﴾ [الكهف: 110]

ومن هنا تظهر الأهمية البالغة لهذا الأصل–التّوحيد–ومدى تأثيره في بقية الأصول العقدية وأوامر الدين، لذا فإنّ دعامة الدّرس العقدي في هذا الإطار تقوم على ما رسمه وانتهجه لنا الرسول صلى الله عليه وسلم في عرض وتثبيت مسائل العقيدة وذلك حتى تؤتي ثمارها وتحقق مقاصدها.

ب– الإيمان بالملائكة:

الإيمان بالملائكة هو الاعتقاد الجازم بأنّ لله ملائكة موجودين مخلوقين من نور، وأنّهم لا يعصون الله ما أمرهم، وأنّهم قائمون بوظائفهم التي أمرهم الله بالقيام بها.

"والإيمان بالملائكة أصل من أصول الاعتقاد لا يتم الإيمان إلا به، والملائكة عالم من عوالم الغيب التي امتدح الله المؤمنين بها ن تصديقا لخبر الله سبحانه، وإخبار رسوله صلى الله عليه وسلم. "[3]

ولقد جاء ذكرهم في النصوص الشّرعية ومن ذلك:

---

[1] محمد الطاهر بن عاشور، التحرير والتنوير، ج17،ص48 نقلا عن الموقع الإلكتوني:
https://www.islamweb.net

[2] أخرجه البخاري في كتاب الصلاة، باب المساجد في البيوت ،المجلد 1رقم الحديث (429)،ص 478.

[3]عبد الله عزام، العقيدة وأثرها في بناء الجيل،د.ط، بيت المقدس، 1440هـ-2019م،، ص21

– القرآن الكريم:

قال الله تعالى: ﴿ إِن كُلُّ نَفْسٍ لَّمَّا عَلَيْهَا حَافِظٌ﴾[الطارق4].

﴿ما يلفظ من قول إلاّ لديه رقيب عتيد ﴾[ق. 18]

– السّنة النبوية: ما رواه مسلم في صحيحه أن النّبي صلى الله عليه وسلم قال: (خُلقت الملائكة من نور، وخُلقت الجان من مارج، وخُلق آدم ممّا وُصف لكم). [1]

وللملائكة وظائف متعددة فهم "حفظة للبشر، يحصون عليهم أعمالهم، ويقدمون أعمالهم إلى رب العالمين، ومنهم مُوكّل بقبض أرواح البشر، وهم كذلك يستغفرون للذين آمنوا، ويحضرون مجالس الرحمة والذكركما في الأحاديث الصحيحة. "[2]

والإيمان بالملائكة وماورد من صحيح أخبارهم، وذكر أوصافهم وأعمالهم دليل واضح على تكريم الله للإنسان، ونفي لما قيل من خرافات تتعلق بألوهيتهم أو أنّهم بنات الله وغيره من الأباطيل مما لا يتسع المقام لذكره.

ت– الإيمان بالكتب السّماوية:

والمقصود بالإيمان بالكتب هو الاعتقاد والتّصديق الجازم بأنّ اللّه تعالى أنزل على رسله كتبا تضمنت أوامره ونواهيه، وما شاء من كلمه عزّ وجل، وأن نؤمن بها تفصيلا وإجمالا أي ما ذكر منها القرآن الكريم، التّوراة، الإنجيل، الزبور، الصّحف – صحف إبراهيم وموسى–.

وإجمالا وهو الإيمان بكل ما أنزله الله على رسله من كتب لم يخبرنا الله عن أسمائها. قال الله تعالى:

﴿كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً فَبَعَثَ اللَّهُ النَّبِيِّينَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ وَأَنزَلَ مَعَهُمُ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ فِيمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ ۚ وَمَا اخْتَلَفَ فِيهِ إِلَّا الَّذِينَ أُوتُوهُ مِن بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمُ الْبَيِّنَاتُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ ۖ فَهَدَى اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا لِمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ مِنَ الْحَقِّ بِإِذْنِهِ ۗ وَاللَّهُ يَهْدِي مَن يَشَاءُ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾[البقرة:113]

[1] أخرجه مسلم في صحيحه – ج2294/4 ، رقم الحديث أو الصفحة: 2996 .

[2] أنظر، تعقيب عمر سليمان الأشقر على نص الحديث، المرجع السابق، ص 9.

ث- الإيمان بالرسل:

الإيمان برسل الله تعالى واجب من واجبات هذا الذين، وركن عظيم من أركان الإيمان، وقد دلّت على ذلك أدّلة القرآن والسّنة.

كقوله تعالى: ﴿ آمَنَ الرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِ وَالْمُومِنُونَ ۚ كُلٌّ امَنَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِ ۚ وَقَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا ۖ غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ﴾[البقرة: 285]

﴿ وَالَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَلَمْ يُفَرِّقُوا بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ أُولَٰئِكَ سَوْفَ يُؤْتِيهِمْ أُجُورَهُمْ ۗ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾[النساء: 152]

ومن السّنة: ماورد في حديث جبريل- عليه السلام - الذي تقدّم ذكره - (قال: فأخبرْني عن الإيمان؟ قال: أن تؤمنَ بالله وملائكته وكُتبه ورسُله واليوم الآخر، وتؤمن بالقدَر خيره وشرّه..)

" فمن كفر بأيّ رسول فقد كفر بأصل الرسالات، وكفر بالقرآن لأنه صرّح بأسماء الرسل في النصوص القطعية الدلالة والثبوت ".[1] ويسري عليهم نفس مايسري على الإيمان بالكتب السّماوية من حيث الإيمان بهم جملة وتفصيلا أي نؤمن بمن ذكروا وعددهم خمس وعشرون في القرآن الكريم، ومن لم يذكروا.

والإيمان بالرسل يجعلنا نشعر برحمة الله علينا، ومدى عنايته سبحانه بخلقه ارشادا وهداية للحق والخير.

ج- الإيمان باليوم الآخر:

الإيمان باليوم الآخر هو الركن الخامس من أركان الإيمان، وهو إيمان بعالم الغيب وما يكون بعد الموت من جزاء أخروي، ومنازل أعدّها الله للمؤمنين أودركات توعّد بها غير المؤمنين، فالإيمان باليوم الآخر هو الإيمان بكل ما أخبر به الله عزوجل في كتابه، وأخبر به رسوله صلى الله عليه وسلم، مما يكون بعد الموت من مشاهد بدءا من فتنة القبر، والبعث والحشر، والحساب والميزان والصراط والشفاعة والجنة والنّار وغيرهاويعتبر المنكر لليوم الآخر، وما صحّ معه من أخبار بالنقل الصحيح خارجا عن الملّة مستحقا لعذاب الله بدليل قوله تعالى:﴿ إنّ الّذين لا يرجون لقاءنا ورضُوا بالحياة الدّنيا واطّمأنوا بها والّذين هم عن آياتنا غافلون أولئك مأواهم النّار بما كانوا يكسبون ﴾ [يونس: 7-8]

[1] عبد الله عزام، العقيدة وأثرها في بناء المجتمع، المرجع السابق، ص24.

ح- الإيمان بالقضاء والقدر

الإيمان بالقدر هو الركن السادس من أركان الإيمان، ولقد ذكر العلماء في التفريق بين القضاء والقدر أنّ القدر هو" هو تقدير لشيء قبل قضائه، والقضاء هو الفراغ من الشّيء ".[1]

وجاء ذكر الإيمان بالقدر كسابقه من أصول الإيمان في القرآن والسنة.

كقوله تعالى: ﴿ إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ﴾[القمر: 49]

- **من السنة:** ماورد في حديث جبريل- عليه السلام - الذي تقدّم ذكره - (قال: فأخبرْني عن الإيمان؟ قال: أن تؤمنَ بالله وملائكته وكُتبه ورسُله واليوم الآخر، وتؤمن بالقدَر خيره وشرِّه..)

ومارواه مسلم في صحيحه عن عبدالله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: (كتب الله مقادير الخلائق قبل أن يخلق السموات والأرض بخمسين ألف سنة قال: وكان عرشه على الماء) .[2]

والإيمان بالقدر محل اجماع الأمة من الصحابة ومن بعدهم.

ثانيا: مقاصد العقيدة

بعد وفاة النبي صلى الله عليه وسلم صلى الله عليه وسلم إنتقل المسلمون من دور الصحبة إلى دور التطبيق والاستنباط والاجتهاد تحقيقا لمقاصد[3] العقيدة، ولم يكن الأمر ليؤتي ثمره لولا "بقاء المنهج والدعائم التي علّمهم إيّاها صلى الله عليه وسلم، وتركها أصلا يعمل به في كل زمان ومكان ".[4]

---

[1] نخبة من العلماء، كتاب أصول الإيمان في ضوء الكتاب والسنة، د. ط، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، المملكة العربية السعودية، 1421هـ، ص243.

[2] أخرجه مسلم صحيحه (ج4/ قم الحديث 2044) ص(2653).

[3] المقاصد:: جاء في لسان العرب، المجلد الثالث، ص353جمع مقصد، قصد: القصدُ: استقامة الطريق، قصد يقصد، فهو قاصد، وقوله تعالى: ﴿ وَعَلَى اللَّهِ قَصْدُ السَّبِيلِ﴾[النحل: 9]، أي على الله تبيين الطريق المستقيم والدعاء إليه بالحجج والبراهين الواضحة ، وهي مشتقة من الفعل الثلاثي (قصد) من قصدتُ الشيء وله وإليه قصدا، أي طلبته بعينه وإليه قصدي ومقصدي، والمقصد هو مطلب وهدف يسعى إلى تحقيقه، وهو الغاية والفحوى (أنظر هيفاء حسن نعمة، مقال بعنوان " مفهوم المقاصد العقدية وأهميتها "مجلة كلية العلوم الإسلامية، العدد67، جامعة بغداد، 23صفر 1443هـ-30أيلول 2021هـ. ص110.)

[4] أنظر: لطفي عبد الرحمان الهلباوي مقال بعنوان"مراعاة المقام العقدي في الدرس العقدي منذ العهد النبوي حتى عصر الميتافيرس"، كلية الدراسات الإسلامية والعربية للبنات بالإسكندرية، جامعة الأزهر ، ص 141.

وهو مايفسّر حاجة المسلمون اليوم للوقوف على ما يرمي الشّارع الحكيم إلى تحقيقه من سلوكات عملية ومنهجية من وراء تشّرب العقائد الإيمانية وهو ما يعبّر عنه بمقاصد العقيدة وهي :

" المعاني والحكم والغايات التي هيئها الله تعالى لعباده في أركان الأعتقاد كافة، مندرجة من معارف ذهنية إلى صفات وجدانية وسلوكات علمية وعملية بما يعود على هذه الشخصية والأمة أجمع بالصلاح الدنيوي والأخروي "[1].

[1]أنظر: هيفاء حسن نعمة، مقال بعنوان " مفهوم المقاصد العقدية وأهميتها، المرجع السابق، ص112.

المطلب الثاني: مفهوم الأثر والسّلوك

الفرع الأول: تعريف الأثر

أولا: الأثر لغة:

جاء في لسان العرب[1]:

الأَثر: بقية الشيء،وخرجت في إِثْره وفي أَثَره أَي بعده.وأْتَثَرْتُه وتَأَثَّرْته: تتبعت أَثره.

والأَثر، بالتحريك: ما بقي من رسم الشيء.

وفي الحديث: من سَرّه أَن يَبْسُطَ اللهُ في رزقه ويَنْسَأَ في أَثَرِه فليصل رحمه؛ الأَثَرُ: الأَجل، وسمي به لأَنه يتبع العمر.وأَثَرُ السيف: ضَرْبَته. وأُثْر الجُرْح: أَثَرُهُ يبقى بعدما يبرأُ.

وبذلك يمكن القول أن مدار كلمة (أثر) في اللغة تشمل المعاني الآتية: بقية الشّيء، التّتبع،الرسم أو العلامة، النتيجة.

ثانيا: الأثر اصطلاحا:

تعددت التعاريف الاصطلاحية للأثر تبعا لتعدد المعاني اللغوية، إلا أنها لم تخرج في مجموعها العام عن تلك المعاني ومنها:

الأثر عند علماء الحديث: ويأتي بمعنى [2]:

أ– الخبر والرواية: " الأثر كالحديث هو: " ما كان مرفوعا إلى النبي صلى الله عليه وسلم، فهو كل ما أضيف إلى النبي من قول أو تقرير أو صفة.

ب– بمعنى الرواية: فهو ما كان: " موقوفا على الصحابي أو مقطوعا على التابعي، والفرق بين التعريفين أن الحديث والأثر متباينان، فالحديث هو ما كان من قول النبي صلى الله عليه وسلم وحده دون غيره".

والأثر: " ما أضيف إلى الصحابي او التابعي أو تابع التابعي من قوله أو فعله".

---

[1] أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم ابن منظور الإفريقي المصري، لسان العرب، المجلد الرابع، د.ط، دار صادر بيروت، ص628.

[2] أنظر، جلال الدين أبي الفضل عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي، البحر الذي زخر في شرح ألفية الأثر، تحقيق ودراسة أبي أنس أنيس بن احمد بن طاهر الأندونوسي، الجزء 1،ط1، مكتبة الغرباء الأثرية، المملكة العربية السعودية، 1420هـ-1999م.،ص 301-305.

2- الأثر عند الفقهاء:

جاء في الموسوعة الفقهية[1] أن اطلاقه بمعنى مايترتب على الشّيء، وهو ما يسمى بالحكم، كما إذا أضيف الأثثر إلى الشيء، فيقال أثر العقد ن أثر الفسخ، أثر النكاح، وغير ذلك، أي الأحكام والنتائج المترتبة عليها.

وحاصل الأمر أن التعاريف الاصطلاحية ليست ببعيدة عن دلالات المعاني اللغوية، والتي حصرها الجرجاني في كتابه في التعريفات في ثلاثة معانٍ: الأول بمعنى النتيجة وهو الحاصل من الشيء، والثاني بمعنى العلامة، والثالث بمعنى الجزء.

وعلى الأساس يمكننا أن نخلص إلى أنّ معنى الأثر في اصطلاح بحثنا:

" هو ما يتركه الدّرس العقدي بمختلف آلياته المنهجية والمعرفية، وأطره الشّرعية من نتائج عمليةظاهرة أقوال وأفعال- موافقة لمضمون الاعتقاد بأصول الإيمان الستّة، في إشارة دالة على فاعلية العقيدة الإسلامية في حياة المسلمين على المستويين الفردي والجماعي، بما يضمن لهم سعادة الدّارين."

الفرع الثاني: تعريف السّلوك

أولا: تعريف السّلوك لغة:

جاء في لسان العرب[2]:السّلوكُ: مصدر سلك طريقا، وسلك المكان يسْلُكه سَلكا وسُلوكا وسَلَكُه غيره وفيه، وأسْلَكهُ إيّاه وفيه وعليه.

والسَّلْكُ، بالفتح: مصدر سَلَكْتُ الشّيء في الشّيء فانْسَلَك أَيأَدخلته فيه فدخل.

وفي التنزيل العزيز: ﴿كَذَٰلِكَ سَلَكْنَاهُ فِي قُلُوبِ الْمُجْرِمِينَ﴾[الشعراء: 200].

وفيه لغة أخرى:أَسْلَكْتُهُ فيه. والله يُسْلِكُ الكفَّارَ في جهنم أي يدخلهم فيها،وفي التنزيل العزيز:﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَسَلَكَهُ يَنَابِيعَ فِي الْأَرْضِ﴾[الزمر: 21]، والمَسْلَكُ: الطريق.

[1]وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، الموسوعة الفقهية، ج1،ط2، طباعة ذات السلاسل، الكويت، 1404هـ-1983م، ص 249.

[2]أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم ابن منظور الإفريقي المصري، لسان العرب، المجلد العاشر، د.ط، دار صادر بيروت، ص442.

ثانيا: تعريف السّلوك اصطلاحا:

تستخدم كلمة السّلوك في عصرنا الحالي للدّلالة على الجانب الأخلاقي للإنسان، وهي كل فعل أوقول يُقدم عليه الإنسان، وقد اختلفت تعريفاته بحسب اختلاف الاختصاص الذي يناقش في إطاره.فعند علماء الإسلام يعرف على أنّه:

"سلوك الطريق إلى الله عز وجل، وذلك بتهذيب النفوس وتزكيتها وتطهير القلوب ومعالجة أمراضها، لتسعد بسيرها إلى صحبة الرفيق الأعلى ومعية من تحبه، فإن المرء مع من أحب. وعليه، فالمراد بقيم السلوك هنا: الصفات السّلوكية الذاتية الخيرة التي يقتضيها الشرع والعقل والفطرة في صلة العبد بربه، وعبادته إياه، وسلوك الطّريق إليه سبحانه."[1]

﴿ وَأَنَّ هَٰذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِ ۚ ﴾[الأنعام: 153]

وهذا مايتوافق مع ما يرمي إليه الدّرس العقدي من كون العقيدة الإسلامية ليست مجرد اعتقاد باللسان بل هي اعتقاد وعمل وسلوك، وفي هذا يقول الله تعالى:

﴿ إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾[الأحقاف: 13]

ومن التعاريف المعاصرة التي يمكن أن تمثّل لبحثنا، وتعكس مضمونه بشكل ملحوظ ما جاء في هذا التعريف [2]:" فالسلوك نشاطٌ يصدر عن الكائن الحيّ نتيجةً لتفاعله مع ظروفٍ بيئيّة، لمحاولة تعديلها وتغييرها. وما النشاط الذي يصدر عن الكائن الحيّ إلّا مجموعةٌ من الاستجابات التي يقوم بها للردّ على مثيراتٍ ومنبّهاتٍ معيّنة؛ لذا تأتي الاستجابات على الشكل الآتي: حركيّة، لفظيّة، فسيولوجيّة، انفعاليّة، معرفيّة أو الكفّ عن النشاط؛ لذا، يشمل السلوك:

1-كلّ ما يفعله الإنسان أو يقوله.

2-كلّ ما يصدر عنه من نشاطٍ عقليّ.

3-كلّ ما يستشعره من تأثيراتٍ وجدانيّة."

وتأسيسا لهذا الكلام، فإنّ الدّرس العقدي يوجّه نشاط المسلم انطلاقا من العقيدة الإسلامية الصحيحة بحيث يسعى إلى إحداث تعديل أو تغيير إيجابي يتفق مع ما جاء في أصول الإيمان

---

[1] مفرح بن سليمان القوسي، مقال بعنوان: قيم السلوك مع الله عند ابن قيم الجوزية، ج1، المكتبة الإسلامية الموقع الإلكتروني: https://www.islamweb.net/ar

[2] نجوى أبو ترك ، أثر الإيمان على السلوك الإنسانيّ، (بحث أُعدّ لنيل شهادة التبليغ الدينيّ)، ط1، دار المعارف الإسلاميَّة الثقافيَّة،مصر ، 2022،ص43.

الثّابتة، ويؤهله للتكيّف مع المستجدات الحياتية ويمنحه القدرة على مواجهة مختلف التحديّات، وهو ما نعبر عنه بفاعلية العقيدة "فلا ريب أنّ العقيدة التي يحملها الإنسان أثرا في توجيه سلوكه وتصرفاته، وأنّ أيّ انحراف في هذه العقيدة يبدو واضحاً في حياة الإنسان العملية والخلقية، ومن ثمّ يؤثر ذلك بشكل ملموس في حياة المجتمع. "[1]

قال تعالى: ﴿ وَقُلِ اعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ ۖ وَسَتُرَدُّونَ إِلَىٰ عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾[التوبة: 105]

[1] محمد أحمد محمد عبد القادر خليل ملكاوي، عقيدة التوحيد في القرآن الكريم، ط1، مكتبة دار الزمان، بدون بلد النشر، 1985م، ص32.

المبحث الأول

الدرس العقدي ودوره

في تفعيل العقيدة

تمهيد:

يؤدي الدرس العقدي دورا هاما في تفعيل العقيدة الإسلامية في واقع الحياة وتوجيه سلوك الفرد والجماعة ، ويتعاظم هذا الدور يوما بعد يوم بسبب تلك التحديات العقدية المعاصرة، والشبه التي تمس المسلم في عقيدته والتي تثار من حين إلى آخر ، مما يدعو إلى ضرورة تجديد وتطوير الدرس العقدي منهجا ومضمونا تفهم على ضوئه حقائق العقيدة الإسلامية.

المطلب الأول : مفهوم الدرس العقدي وأهميته

إن العقيدة الإسلامية وبالنظر إلى ماسبق ذكره – في المطلب الأول – من خصائص ومقاصد كفيلة بأن تحقق للمسلم السعادة في الدارين، "فلاقيمة للطاقة إذا ظلّت كامنة في مكانها، ولم يمتّد تيارها إلى سلوك الإنسان لتحدث فيه الضوء والحرارة والنور." [1]

لذا فقد بات الدرس العقدي يشكل أداة فاعلة تساهم في ربط المسلمين بعقيدتهم، وترجمتها إلى سلوك عملي في واقعهم.

الفرع الأول: تعريف الدّرس العقدي

الدرس[2] العقدي مركب إضافي يتألف من كلمتين متلازمتين تعليما وبيانا، وسيلة وغاية فهو: " مجموع خبرات علماء العقيدة ماضيا وحاضرا في عرض مباحث العقيدة شكلا ومضمونا ومنهجا وإلقائها وتعليمها كتابة ومشافهة ".[3]

ونخلص مما سبق أن الدرس العقدي مفهوم شامل ومتكامل يهدف إلى تعليم الناس العقيدة الإسلامية الصحيحة وفق أطر منهجية وآليات معرفية تخاطب الفكر وتحرك الوجدان، مقتدين بمنهج النبي صلى الله عليه وسلم، وذلك ببيان أصولها وأركانها ومرجعياتها الضابطة، والوقوف على مقاصدها، وتخليصها مما قد يشوبها من انحراف أو تشويه لحقائقها، والدعوة إلى تفعيلها في واقعهم بالربط بين الاعتقاد والسلوك على مستوى الفرد والجماعة.

الفرع الثاني: أهمية الدّرس العقدي وأبعاده الوظيفية

أولا: أهمية الدّرس العقدي

إن العقيدة الإسلامية نظام ثابت وشامل لمختلف مظاهر الحياة بل هي الحياة كلها. قال تعالى: ﴿ أَوَمَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ كَمَن مَّثَلُهُ فِي الظُّلُمَاتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِّنْهَا ۚ كَذَٰلِكَ زُيِّنَ لِلْكَافِرِينَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾[الأنعام: 122]

---

[1] مكرم عبد العال سالم، أثر العقيدة في بناء الفرد والمجتمع، المرجع السابق، ص07.

[2] يُعرّف علماء التّربية التّدريس بأنه: " نشاط إنساني هادف مخطط ومنظم لغرض إحداث النّمو الشامل والمتكامل لدى المتعلّم في ضوء تمكينه من المعارف والحقائق واكتشافها والوصول به إلى مستوى التفكير المنظم" ويفهم من ذلك أن عملية التدريس تشمل عناصر التواصل الثلاثة : المرسل والمرسل إليه والرسالة (المضمون). أنظر: بحث بعنوان: التدريس: مفهومه، استراتيجياته، طرائقه، أساليبه جامعة بابل، الموقع الإلكتروني: https://www.uobabylon.edu..

[3] عمران بودقزدام ، الدرس العقدي الإسلامي المعاصر –ملامحه ومميزاته من خلال دراسة نماذج – ، مجلة الصراط ، المجلد 22، ع 2 ،جامعة الجزائر ،كلية العلوم الإسلامية ، خروبة ، سبتمبر2020، ص 91.

ومعلوم أن العقيدة الإسلامية صالحة لكل زمان ومكان – وهو أمر لا مراء فيه – مهما تغيرت الظروف والأحوال التي تعتري الإنسان في هذا الوجود، إلا أن صلاحيتها وفاعليتها مرهون بمدى إدراكنا لأصولها ومقاصدها وأبعادها، وهذا الإدراك لا يكون إلا عن طريق العلم الصحيح المفضي إلى الفهم السليم.

وبناء على هذه المعطيات يمكن القول أنّ حاجة المسلمين للدرس العقدي تتأكد في كل وقت وحين، في ظل ما تعيشه الأمة الإسلامية من خبل فكري، ووهن عقدي حادا بها عن مفهوم الخيرية والشهود الذي لن يكون إلا تحت راية الإسلام وعقيدة التوحيد.

ويمكن أن نقف عل أهمية الدرس العقدي بإيجاز من خلال النقاط التالية:

1- الدعوة إلى الاقتداء بمنهج الرسول صلى الله عليه وسلم، في عرض العقيدة، " حتى يُتمكّن من مخاطبة النّاس بما يفهمون [1]" قال تعالى: ﴿ هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا مِن قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾[الجمعة: 2]

2- تحقيق قراءة واعية لتاريخ سلف الأمة من الصحابة الكرام والاستفادة منه ،" فأصحاب محمد عليه الصلاة والسلام كانوا امتدادا لنوره وطهره وشجاعته وجهاده[2] ".

3- غربلة التراث الفكري والعقدي مما علق به من أراء بعض المذاهب الكلامية الهدامة، والأفكار الدخيلة على البيئة الإسلامية المخالفة لأصول الإيمان الأساسية.

4- بيان مرجعيات البحث العقدي والدعوة إلى الاحتكام إلى الكتاب والسنة الصحيحة.

5- ترشيد الفهم وتجديد الخطاب العقدي بما يجعله قادرا على مواكبة النوازل العقدية.

6- التأسيس العلمي والفكري والوجداني لدروس العقيدة وتفعيلها بالربط بين الإيمان والواقع.

7- الدعوة إلى إعمال الفكر والتدّبر في الأنفس والآفاق، والاهتمام بالعلوم التجريبية كعلوم المادة.

8- الردّ على مختلف الشبهات المعاصرة، ومواجهة مختلف التحديات الفكرية والعقدية الداخلية والخارجية.

9- "نقل المعرفة الإيمانية من جيل إلى جيل مع توكيدها وتصحيحها ودفع مايشبه ويشكل فيها."[3]

---

[1] أنظر: مصطفى وينتن، محمد بابا عمي، أصول الإيمان التوحيد ووحدة الأمة، المرجع السابق، ص105

[2] محمد الغزالي، سرتأخر العرب والمسلمين، د.ط، دار البعث قسنطينة (الجزائر)،1406هـ، 1986م، ص57.

[3] عمر بسيوني، قراءة في الدرس العقدي المعاصر "قراءة في الخطاب الشرعي"، ط1، مركز نماء للبحوث والدراسات، بيروت، ص 09.

وهذه هي أهم النقاط التي تبرز أهمية الدّرس العقدي –حسب رأينا –والتي سنأتي على تفصيلها في ثنايا هذا البحث.

ثانيا: الأبعاد الوظيفية للدرس العقدي

يراعي الدرس العقدي في محاولته لإعادة أثر العقيدة في حياة المسلمين –أفراد أو جماعات – عدّة أبعاد يمكننا أن نذكرها بايجاز على النحو التالي:

1– البعد التوحيدي

إن أصل الإيمان الأول هو التوحيد وكل ما لحق به من أصول تبع له، لذا فإنّه أهم بعد يشتمل عليه الدرس العقدي، ويوليه العناية البالغة وذلك ببيان الغاية التي من أجلها خلق الله تعالى الخلق ألا وهي كلمة التوحيد.

ويستلزم البعد التوحيدي [1]تحقق العبودية لله وشموليتها لكل جوانب الحياة وينتج عن ذلك:

أ– تكامل البنية الإيمانية: باعتبار الدين وحدة إيمانية متكاملة تجمع بين رسوخ العقيدة في أعماق القلب وما يصدر من أعمال الجوارح تحقيقا للتناسق العقدي.

ب– شمولية الإيمان لحياة الإنسان: فإذا صح إيمانه وعقيدته عفّ لسانه، وصلح عمله، واعتدل سلوكه.

ت– الوسطية والاعتدال: وذلك أن يجمع الإيمان بين الجانب الروحي والمادي معا.

ومن ثمار هذا البعد: توحيد الخالق، وحدة المصدر، وحدة الغاية، وحدة الأمة وغيرها.

2– البعد العلمي والمنهجي

يولي الدرس العقدي أهمية لهذا البعد باعتبار أن المعرفة الحقة والتي يحصل بها الإيمان الصحيح لا تتحقق إلا بالعلم والمنهج الصحيحين، إذ بهما نمايز بين الأشياء ونقف على حقيقتها، فنزيل الغموض واللبس الذي يكتنف بعض المصطلحات العقدية تدريسا وتعليما، ومثاله الخلط أو الدّمج بين العقيدةوعلم العقيدة، فهذا الأخير وإن شرُف بشرف المُشتغَل به –العقيدة – إلا أنه لا يترتب عنه مساواة بينه وبين العقيدة في الرتبة والأثر، ذلك أن العقيدة: "هي الإيمان الجازم بالله تعالى

[1]أنظر مصطفى وينتن، محمد بابا عمي، المرجع السابق، ص67.

وما يجب له من التوحيد، والإيمان بملائكته وكتبه ورسله، واليوم الآخر، والقدر خيره وشرّه، وما يتفرع عن هذه الأصول، ويلحق بها مما هو من أصول الإيمان ". [1]

وعليه فالعقيدة هي عبارة عن حقائق إلهية ثابتة لا يطالها التغيير أو التبديل مهما تغيّرت الأحوال والظروف، وهي توقيفية لا مجال للبشر فيها حذفا أو تعديلا.

3- البعد العملي السلوكي

من أهم الأمور التي أفضت إلى وقوع الخلل في حياة الفرد والمجتمع في مختلف أنساق علاقاتهم هو تغييب البعد العملي السلوكي للعقيدة الإسلامية، وهذا يتنافى مع المقصد الأسمى المتمثل في حقيقة العبودية لله ﴿ وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ [الذاريات: 56].

ومفهوم العبادة يشمل العلم والعمل،فالعقيدة ليست كلاما مجردا أو نظرية معزولة عن واقع الحياة، وقد يبلغ المرء من معرفته بالعقيدة مبلغا هاما لكنه لا يحس بذلك في سلوكه. وإلى هذا المعنى يشير الشيخ محمد الغزالي- رحمه الله- فيقول: "قد نشأ عن ذلك أنك ترى دارس علم الكلام أو لعلم الفقه متمكنا من قضايا العلمين المهمين ن ولكنه لا يحسن إلا الجدل، وتشقيق الفروع ".[2]

4- البعد النفسي والأخلاقي

يسعى الدرس العقدي إليها الاهتمام والعناية الكافية في ميدان تدريس العقيدة وعرض مسائلها بالجوانب النفسية والأخلاقية، ولعل السبب الرئيس في ذلك هو جنوح الدرس العقدي التقليدي إلى كثرة الاصطلاحات المنطقية والكلامية والفلسفية كالجوهر والعرض...

الأمر الذي غيّب المعاني السامية المصاحبة للإيمان، فلم يؤتي ثماره المرجوة في النفس البشرية.

"فالجانب النفسي والخلقي على جلالته –مغموط الحق – أو لم يلق العناية الدقيقة التي لقيتها الجوانب الأخرى ."[3]

مما يؤكد على أن الأخلاق ملازمة للعقيدة ومكملة للشريعة، وهي مناط التفاعل والتواصل المجتمعي.فقد قال عليه الصلاة والسلام: (أكمل المؤمنين إيمانا أحسنهم خلقا) [4].

---

[1] الجبرين عبد الله بن عبد العزيز، مختصر شرح تسهيل العقيدة الإسلامية، ط1،دار الوطن للنشر، المملكة العربية السعودية، 2017،ص22.

[2] محمد الغزالي، المرجع السابق، ص 72.

[3] محمد الغزالي، الجانب العاطفي للإسلام ، ط3 ،نهضة مصر ، القاهرة ، 2005م، ص6.

[4]أخرجه أحمد في المسند (ج2/ رقم الحديث472).

5- البعد الإصلاحي

يتأكد هذا البعد من خلال تشخيص الأدواء المنافية للعقيدة الصحيحة في مجموعها حتى تتكون للمسلم أرضية إيمانية صلبة تؤهله لإصلاح ما فسد من اعتقاد أو سلوك على مستوى الفرد والمجتمع، ومن ثمة يشرع في عملية البناء العقدي. وعليه فإنّ نجاح أي مشروع إصلاحي في مواجهة مختلف التحديات العقدية –الداخلية أوالخارجية –مرهون بالإيمان وتوحيد الجهود، وفي هذا يقول الشيخ عبد الحميد بن باديس –رحمه الله-:" ولنبدأ من الإيمان بتطهير عقائدنا من الشرك، وأخلاقنا من الفساد، وأعمالنا من المخالفات ولنستشعر إخوة الإيمان التي تجعلنا كجسد واحد، ونشرع في ذلك غير محتقرين لأنفسنا ولا قانطين من رحمة ربنا لا مستقلين لما نزيله كل يوم من فسادنا ."[1]

6- البعد الإنساني الحضاري

لقد نبّه كثير من علماء العقيدة والمفكرين المهتمين بالدرس العقدي أمثال (محمد الغزالي، وعبد المجيد النجار، محمد سعيد رمضان البوطي، سيد قطب، يوسف القرضاوي، مالك بن نبي، عبد الحميد أبو سليمان) على ضرورة إبراز البعد الإنساني والحضاري للعقيدة الإسلامية وذلك لمحوريتها وأهميتها في حياة المسلم " بوصفه المخاطب بها والمكلف بتمثلها بالفهم والتفاعل والتفعيل، وهو الأمر المنوط به تحقيقا لوظيفته الاستخلافية القائمة على التعريف بحقيقة الإنسان في خلقه الأول وفي تركيبه من المادة والروح، وفي قيمته الذاتية، ومنزلته في الكون وغاية وجوده ومصيره "[2]. وعليه فالدرس العقدي يتجاوز تلك العلاقة بين الإنسان والإيمان المنحصرة في الجوانب التجريدية والغيبية إلى علاقة هذا الإنسان بأفق واسع ومدى تعامله الإيجابي مع عناصر الكون، وهذا في إطار وعيه وفهمه لغاية التكريم الإلهي للإنسان، قال الله تعالى:

﴿لَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُم مِّنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا﴾[الإسراء: 70]

وقوله تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا﴾ [البقرة: 143]

---

[1] تركي رابح، الشيخ عبد الحميد بن باديس: رائد الإصلاح والتربية في الجزائر، ط3،الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر،1981،ص213.

[2]عمران بودقزدام، الدرس العقدي الإسلامي المعاصر، المرجع السابق، ص 106.

الفرع الثالث :معوقات الدرس العقدي وآليات تجديده

إنّ المتأمل في واقع الدرس العقدي يقف على جملة من المعوقات والمآخذ المنهجية والموضوعية التي تعطّل أداءه الوظيفي وتحول بينه وبين تحقيق هدفه الأسمى المتمثل في تفعيل العقيدة في واقع الحياة ، وهو الأمر الذي يستدعي الوقوف على تلك المعوقات وتشخيصها حتى تكتمل عملية تجديده وتطويره في ظل المستجدات والتحديات العقدية المعاصرة .

أولا : معوقات الدرس العقدي

أ- التعقيد والتجريد :

إن انصراف الدرس العقدي إلى الأبحاث النظرية على حساب القضايا الواقعية المتصلة بواقع الناس ودنياهم ،والإهتمام بالمباحث الكلامية التي حُسم فيها الخلاف منذ زمن بعيد والتي لا تثمر عملا صالحا ولا علما نافعا حال دون المقصد الأساس للدرس العقدي ألا وهو تعليم العقيدة للناس "بطريقة تتّسم بسهولة التناول وبساطة العرض بعيدا عن التجريد والتعقيد والإلغاز "[1]، مما يجعلها تحقق أثرها الإيجابي والمباشر نتيجة قابلية العقول والنفوس لها على اختلاف المستويات وتباين المراكز والأعمار.

لذا فإن الميل إلى التعقيد والتجريد لا يتوافق البتّة مع مقاصد العقيدة وآثارها السلوكية ، بل لا يجنى منه إلا التنازع والاختلاف المفضي إلى الشقاق .

ب- فصل النظريات العقدية عن الواقع :

إن من أكبر العوائق والمشاكل التي تقف أمام الدرس العقدي هو ظهور شُبه جديدة تختلف عما كان معروفا في القديم من حيث أسلوب الطرح وأصل المحتوى ،وسرعة انتشارها في الساحة الفكرية نتيجة تقدم تقنيات الإعلام وشبكات التواصل ،كما أنها نابعة من نظريات ذات خلفيات فلسفية بعيدة كل البعد عن المفهوم الديني الصحيح ،ومثال ذلك تفشي ظاهرة الإلحاد المعاصر التي مست شريحة من شباب المسلمين في عقيدتهم وقيمهم .لذا فإن تناول الدرس العقدي للنظريات العقدية بعيدا عن الواقع فيه مجانبة للإيمان الصحيح وتحييد لجوانبه العملية والسلوكية ويؤكد هذا

[1] عمر مبركي ، مداخل تطوير الدرس العقدي من خلال التراث العقدي بالغرب الإسلامي ،مجلة إسلامية المعرفة ،السنة 25 ،ع97 ، 1440هـ -2019م ،ص96.

المعنى عبد المجيد النجار فيقول : " ينبغي أن تربط في تقرير الحقائق بين صورها النظرية وبين الواقع الذي تجري عليه الحياة الإسلامية ...وفي ذلك ما يدعو إلى المراجعة والتصويب ".[1]

ت- تغييب المضامين التوحيدية في المقررات العقدية :

تبقى فاعلية الدرس العقدي مرهونة بمدى ارتباطه بمطالب التوحيد ومقتضياته ،فلا يمكن الإقتصار على مجرد التعريفات الحدّية لأصول الإيمان والتصديقات الذهنية بل الواجب أن يتعداها إلى شرح عقيدة التوحيد وبيان آثارها النفسية والإجتماعية وامتدادها السلوكي على مستوى الفرد والجماعة فالمشكلة التي تقف أمام الدرس العقدي هو "أن حقائق العقيدة تشبه أن تكون تصديقات ذهنية غايتها في ذاتها وضعف الشعور بغايتها السلوكية ".[2]

ثانيا : آليات تجديد الدرس العقدي

تماشيا مع مبدأ فاعلية العقيدة الإسلامية يطمح الباحثون والمتخصصون في البحث العقدي إلى ضرورة تطوير الدرس العقدي منجها وأسلوبا حتى يكون في مستوى تطلعات المسلمين ومواكبا للتحديات العقدية المعاصرة. ومن أهم تلك الآليات التجديدية مايلي :

1- التركيز على الأبعاد الوظيفية للدرس العقدي :

ونقصد بذلك إبراز الآثار العملية السلوكية للإيمان بالله في واقع الحياة بما يشمل المؤمنين أفرادا وجماعة، ويتّسع إطاره إلى مستويات عديدة تمس الجوانب الاجتماعية والإقتصادية والثقافية وغيرها.

2- الموازنة بين العقل والوجدان :

وهو منهج قرآني لابد للدرس العقدي أن يعمل به قصد تفعيل العقيدة الإسلامية التي جاءت تخاطب العقل وتزكي الوجدان ، انطلاقا من مجموع المؤهلات الفكرية والجوانب النفسية العاطفية التي تشتمل عليها شخصية المخصوص بالخطاب، وذلك وفق موازنات معيارها الوسطية الجامعة بين العقل والوجدان.

3- تحديث طرق الدرس وأساليبه ووسائله :

حتى يؤدي الدرس العقدي دوره بصفة متكاملة وفاعلة وجب تطوير طرق تناول الدرس وتحديث أساليبه بالإعتماد على وسائل تتماشى ومقتضيات العصر ، ومن جملة ما يتأتى به ذلك مايلي :

[1] عبد المجيد النجار ، الإيمان بالله وأثره في الحياة ،ط1،دار الغرب الإسلامي ، بيروت ،1997م ،ص 7.6

[2] عبد المجيد النجار ، مباحث في منهجية الفكر الإسلامي ، ط1، دار الغرب الإسلامي ، بيروت ،1992م ،ص150.

أ– الإبتعاد عن الطرق التقليدية في تقديم الدرس كالإعتماد على التلقين وجعله مسلمة لا تقبل النقاش وبالخصوص في المراحل العلمية المتقدمة وتفعيل طريقة الحوار.

ب– غربلة محتوى الدرس العقدي والإتجاه نحو النقد البنّاء.

ت– إعادة ترتيب الموضوعات العقدية في المقررات الدراسية بما يتناسب مع المراحل العمرية والمستويات العلمية للمتعلمين.

ث– المرافقة الميدانية للمناهج الدراسية العقدية وتحديد الأهداف مع مراعاة العوامل الزمانية والمكانية.

ج– ترتيب المسائل العقدية بحسب الأولويات وربطها بالواقع المعيش.

ح– الإستفادة من الإعلام وخدماته واستغلاله لمواجهة الشُبه المعاصرة.

خ– تنويع أساليب تناول الدرس بما يحدث الأثر في نفس الطالب ويربطه بواقعه ،ومثال ذلك اعتماد أسلوب القصص الذي يحمل عنصر التشويق.

د– اعتماد البساطة في استعمال المصطلحات العقدية وسهولة عرضها.

ذ– التنويع في طرائق التأليف وذلك بالخروج من النمطية السائدة في كتب العقيدة القديمة والتي تتميز بالتراكمية وصعوبة اللفظ، وإثارة مسائل الخلاف،إذ الغاية "هي صياغة خطاب علمي يقرب مضامين العقيدة بلغة ميسرة تراعي أصناف المتلقين ومستوياتهم العلمية والفكرية والعمرية ."[1]

ر– الإستئناس بالعلوم الأخرى كالعلوم الإنسانية ونتائج العلوم التجريبية.

ز– تجديد وترشيد الخطاب المسجدي ويقصد منه الدرس الواقعي الموصول بهموم الأمة وقضاياها الحقيقية المتضمن التوجيه والإصلاح والبناء مما يكسب المسلمين مناعة ضد كل انحراف أو تحديات عقدية.

والخلاصة أن تجديد الدرس العقدي لا يعني تغيير حقائق العقيدة الثابتة بالقرآن والسنة ،وإنما المقصود هو تجديد الفهم وتحديث الآليات التعليمية بقصد إعادة تفعيلها – العقيدة – في ظل المستجدات الحياتية والواقعية.

[1] عمران بودقزدام ، المرجع السابق ،ص106.

الفرع الرابع : أقسام الدرس العقدي وسماته

يتفرع الدرس العقدي إلى قسمين أساسيين هما :

أولا : الدرس العقدي الشفوي

يؤدي الخطاب الشفوي باعتباره آلية من آليات الدرس العقدي دورا هاما في تفعيل العقيدة الإسلامية لاسيما في ظل مايشهده الواقع الإسلامي على المستويين الفردي والجماعي من تحديات وتحولات ،وهو – الخطاب الشفوي – أشد وقعا وأثرا في نفوس المخاطبين إذ يساهم في إفهام الناس وتعليمهم عقيدتهم بأسلوب مباشر يوقظ الفكر ويحرك الوجدان والعواطف بلغة تختلف باختلاف المقامات تتسم بالبساطه وعمق المعاني.

وتتعدد أوجه الدرس الشفوي تبعا لتعدد مستويات الخطاب العقدي واختلاف مراكز المخاطبين زمانا ومكانا ، كما تختلف منطلقاته تبعا لاختلاف غاياته ، فمنه ما يكون إرشادا وتوجيها ،ومنه مايكون بدافع الإصلاح والتغيير، ومنه مايكون تزكية للنفوس وهذا حسب ما تقتضيه الحاجة.

كما يشمل الدرس الشفوي العقدي في مضمونه الجوانب النظرية والعملية على حد السواء مما يعكس الأبعاد الوظيفية للعقيدة الإسلامية وتمثلاتها الميدانية في الحياة، ويختلف حجم تأثيره في مختلف المراكز التعليمية والدينية كالمدرسة والجامعة والمساجد وغيرها من مؤسسة إلى أخرى .

ويمكن أن نقف على سمات الدرس العقدي الشفوي والتمثيل له من خلال الشيخ بيوض –رحمه الله إذ يتجلى الدرس العقدي الشفوي عند الشيخ بيوض بوضوح في تلك الدروس التي كان يلقيها على طلبته داخل المسجد أو خارجه حيث كان يتوخى من الدرس العقدي تزكية النفس وتنزيه الله سبحانه وتعالى وإفراده بالعبادة الشاملة بما يتسع لكل المجالات الحياتية ،ودعوته للرجوع بالدرس العقدي إلى المنهج السلفي لاقتناعه أن لا منهج في باب العقيدة إلا منهج الله تعالى في كتابه الكريم.

ولعل من الأسباب التي تؤكد أهمية الخطاب الشفوي في الدرس العقدي هو حرصه على تكوين المجتمع المسجدي حيث "لم يلزم نفسه بتأليف كتاب في العقيدة بل كان يلقي دروسه المسجدية للخاصة والعامة ، فيتغاضى في بعض الأحيان عن تحديد المصطلحات ،موليا عنايته الكلية لآثارها العلمية التي كانت غاية درسه العقدي ".[1]

[1] حمو بن عيسى الشيهاني ، الفكر العقدي عند الشيخ بيوض وآثاره في الإصلاح ، ط1 ،جمعية التراث ،غرداية ،1432هـ-2011م ،ص16.

وقد سلك الشيخ بيوض في درسه العقدي مسلكا جعل من الإيمان قوة فاعلة وطاقة متجددة تمكن من تفعيل العقيدة الإسلامية على مستوى الفرد والجماعة ،وذلك بأن سلك اتجاهيين هما [1]:

1- الاجتهاد في تنزيل النص العقدي على الواقع المعيش.

2- علاج القضايا المناسكية والحياتية الراهنة بإحكام صلتها بأصولها الإيمانية...لأن سلوك الإنسان مرهون بما يضمره من تصور واعتقاد ...ومن ذلك دعوته إلى وحدة الأمة ونبذ الخلاف.

والخلاصة أن الدرس العقدي يعول كثيرا على الخطاب العقدي الشفوي وذلك بالنظر لأهميته وتأثيره المباشر في تفعيل العقيدة وتوجيه السلوك تبعا لها ،وهذا راجع إلى سماته المراعية لمستويات المخاطبين واختلاف مراكزهم.

ثانيا : الدرس العقدي الكتابي

يشكل الدرس العقدي الكتابي ممثلا في ما أُلّف أو كتب في العقيدة رافداً عقديا يضاف إلى سابقه -الدرس الشفوي – إذ يساهم في إثراء البحث العقدي ويؤهل الدرس العقدي في مجموع أقسامه لتفعيل العقيدة،وإن كان في الغالب مايكون موجها للمتعلمين والنخب المتخصصة من الباحثين إلا أن أثره بالغ الأهمية لعدة إعتبارات منها :

مساهمته في توثيق المسائل العقدية والموضوعات المرتبطة بأصول العقيدة.

1- إمكانية وسهولة الرجوع إلى المصادر ونسبة الآراء والأقوال لأصحابها والوقوف على المنطلقات الفكرية والعقدية .

2- قابليتها للفحص والتمحيص والنقد والمقارنة .

3- وترتبط فاعلية الدرس الكتابي بفاعلية تلك المؤلفات منهجا ومضمونا في ميدان البحث والدرس العقدي من خلال النقاط التالية :

أ- ضرورة مواكبة مضامينها للمستجدات الحياتية.

ب- اعتماد الشروح والاستدلالات والردود بما يضمن للحقائق العقدية الفهم والاقتناع.

ت- ربط المؤلفات بالمشكلات الحقيقية التي تواجه الأمة الإسلامية وتمس عقيدتها.

ث- بساطة العرض وسهولة التناول للقضايا العقدية.

ج- تضمين الكتابات والمؤلفات مطالب توحيدية بما يتوافق مع المنهج القرآني.

ح- مراعاة المقام العقدي والفئة المخاطبة من الكتابة أو التأليف.

[1] حمو بن عيسى الشيهاني ،المرجع نفسه ،ص 14.

وسندلل على ماتقدم ذكره بمثال –من المؤلفات العقدية– يدلل على أهمية الدرس الكتابي في تفعيل العقيدة الإسلامية وهو مؤلفات الإمام السنوسي ومنها كتاب "العقيدة الكبرى"،وكتاب "العقيدة الوسطى "،وكتاب العقيدة الصغرى " وشروحها .

وأهم مامیّز مؤلفاته مايلي[1] :

–سهولة الأسلوب وبساطة العرض.

–تقريب علم العقيدة وتيسيره.

–الإبتعاد عن التّعقيد.

–مراعاة القدرات الفكرية والعلمية للمتعلمين والمستفيدين منها وذلك بالتدرج واعتبار مستويات المخاطبين.

ونخلص مما سبق إلى أن الدرس العقدي بقسميه الشفهي والكتابي كفيل بأن يعيد للعقيدة فاعليتها الحياتية والسلوكية على المستوى الفردي والجماعي متى إلتزم آليات التجديد منهجا ومضمونا.

[1] عمر مبركي ، المرجع السابق ، ص112.

المطلب الثاني : علاقة الدرس العقدي بالتزكية

إنّ ترسيخ الإيمان أقوى سبب لتزكية النفوس، وذلك لما لأركان الإيمان الستّة –السابق ذكرها – من آثار عظيمة في عقائد المؤمنين وأخلاقهم ولأن السلوك يتبع العقائد والتصورات، فاستقامة العقيدة منهجا وعملا يستلزم استقامة السلوك.

الفرع الأول: تعريف التّزكية لغة واصطلاحا

أولا: التّزكية لغة:

تطرقت المعاجم اللغوية في بيانها لمادة (**زكا**) إلى معانٍ يمكن حصرها في مايلي:

1–النّماء والزيادة: قال العلامة الفيّومي –رحمه الله –: " الزكاء بالمدّ النّماء والزيادة... وزكا الرجل يزكوإذا صلح، وزكّيته بالتثقيل نسبته إلى الزكاء وهو الصلاح "[1].

2– الطّهارة: جاء في مقاييس اللغة: " الزاء والكاف والحرف المعتل أصل يدل على نماء وزيادة...وقال بعضهم: سميت زكاة لأنها طهارة. قالوا: وحجة ذلك قوله جل ثناؤه: ﴿ خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِم بِهَا وَصَلِّ عَلَيْهِمْ إِنَّ صَلَاتَكَ سَكَنٌ لَّهُمْ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾[التوبة: 103]

والأصل في ذلك كله راجع إلى هذين المعنيين، وهما النماء والطهارة. ومن النماء: زرع زاكٍ، بيّن الزّكاء ويُقال هو أمر لا يزكو بفلان، أي لا يليق به "[2].

3–الصلاح: " الزكا الصلاح ورجل تقيٌّ أي زاكٍ من قوم أتقياء أزكياء. "[3]

فمدار معاني لفظة (تزكية) حول: الطهارة، والنماء والزيادة، والصلاح وكلّها معانٍ ذات بعدر إيجابي.

---

[1] أحمد بن محمد بن علي الفيومي، المصباح المنير في غريب الشرح الكبير، ط2،دار المعارف، تحقيق عبد العظيم الشّناوي، د.ت، ص 97.

[2] أحمد بن فارس بن زكرياء القزويني الرازي، معجم مقاييس اللغة، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، د.ط، ج، دار الفكر، 31399هـ-1992م، ص17.

[3] أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم ابن منظور الإفريقي المصري، لسان العرب، المجلد 14، د.ط دار صادر بيروت ،ص.358

ثانيا: تعريف التّزكية اصطلاحا

التّزكي: " هو التطهير بترك السيئات الموجبة لزكاة النّفس، ولهذا تُفسّر الزكاة تارة بالنماء والزيادة، وتارة بالنّظافة والإماطة، والحقيقة أن الزكاة تجمع الأمرين إزالة الشّر وزيادة الخير ".[1]

وقال المناوي: " نفي ما يستقبح قولا أو فعلا وحقيقتها الإخبار عما ينطوي عليه الإنسان ".[2]

وعرّفت أيضا في اصطلاح المُحْدَثين: " انتزاع ماهو غير مرغوب فيه وتعزيز ماهو مرغوب فيه، فهي إذن تعديل للسلوك بلغة التربية الحديثة ".[3]

أوهي: "عملية تطهير وتنمية شاملة، هدفها استبعاد العناصر الموهنة لإنسانية الإنسان وما ينتج عن هذا الوهن من فساد وتخلّف وخسرانٍ وتنمية كاملة للعناصر المحققة لإنسانية الإنسان وماينتج عن هذه التنمية وفلاح في حياة الأفراد والجماعة. "[4]

ولقد وردت آيات ذكرت التزكية بوصفها مقصدا من مقاصد الوحي الصريحة وكونها وظيفة أساسية من وظائف النبّي صلى الله عليه وسلم منها قوله تعالى: ﴿كَمَا أَرْسَلْنَا فِيكُمْ رَسُولًا مِّنكُمْ يَتْلُو عَلَيْكُمْ آيَاتِنَا وَيُزَكِّيكُمْ وَيُعَلِّمُكُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُعَلِّمُكُم مَّا لَمْ تَكُونُوا تَعْلَمُونَ﴾[البقرة: 151]

وعليه فلازم الأمر أن ينصبّ اهتمام المربين والمعلمين بإصلاح القلوب وتطهيرها من كل ما يدنّسها ويصرفها عن حسن السلوك، اقتداء بالمعلم الأول محمد صلى الله عليه وسلم. "فتزكية النّفس من مهمات الرسل، وهي هدف للمتقين وعليها مدار النجاة والهلاك عند الله عزوجل... فالتزكية في النهاية: تطّهر وتحقّق وتخلّق، ولذلك وسائله المشروعة، وماهيته وثمراته الشّرعية، ويظهر آثار ذلك على السلوك، في التعامل مع الله عزوجل ومع الخلق، وفي ضبط الجوارح على أمر الله. "[5]

---

[1] تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم بن محمد ابن تيمية، دقائق التفسير، تحقيق: د. محمد السيد الجليند،، ط2، مؤسسة علوم القرآن – دمشق،1404هـ، ج5ص100.

[2] زين الدين محمد المدعو بعبد الرؤوف بن تاج العارفين بن علي بن زين العابدين الحدادي ثم المناوي، ط1، عالم الكتب، ص174. الموقع الإلكتروني https://shamela.ws/

[3] ماجد عرسان الكيلاني، تطور مفهوم النظرية التربوية الإسلامية، ط2، مكتبة دار التراث، 1405 هـ، 1985م، ص41.

[4] ماجد عرسان، مناهج التربية الإسلامية والمربون والعاملون فيها، ط1 ، عالم الكتب ، بيروت ،1416هـ-1995م، ص 127.

[5] مصطفى السّباعي، المستخلص في تزكية الأنفس، ط11، دار السلام للطبعة والنشر والتوزيع والترجمة، مصر، 1425هـ-2005م، ص 3.

وبناء على ما تقدّم ذكره إجمالا يمكن القول أنّ عبارة تزكية النّفس كمركب لفظي تشمل الاعتقاد والأخلاق والأعمال، فتحمل الإنسان على أن يصير زاكيا،فهي عملية تتطلب جهدا واستقصاء للعيوب الكامنة في النّفس حتى تتمكن من مسحها بالكليّة، ومباشرة عملية التأسيس والإصلاح، وقريبا من هذا المعنى يشير محمد الغزالي –رحمه الله – على أن تزكية النّفس لا تكون إلاّ " بالبحث عن كل عيب في النّفس الإنسانية ووقفه واجتثاث جذوره، ثمّ يجيء بعد هذا تكميل النّفس الإنسانية بالكمالات الإنسانية " [1].

ولعله يشير هنا إلى مصطلحي التّخلية والتّحلية، فالتزكية لها وجهان [2]:

أ- **الوجه لأول**: وهو التّخلية : وهي ترك الرذائل واجتناب النواهي والأخلاق الذميمة التي نهى عنها الشرع.

أوهي بعبارة أوضح وأشمل تخلية القلب من كل العوائق التي تقف في المسير إلى الله تعالى.

ب- **الوجه الثاني**: وهو التّحلية ويقصد بها: وهو التّحلية ويقصد بها : تحلية القلب بالعمل الصالح الذي يؤدي إلى سلامته وصلاحه وخشوعه لله تعالى .

ومما نستنتجه أن تزكية النّفس بشقيها تخلية وتحلية هي من أولويات الدّرس العقدي، إلاّ أنه ينظر إليها بشيء من التّوسع في مفهومها وارتباطها الإيماني الذي يتجاوز حدود الاستقامة في الدنيا – بدافع الامتثال للأوامر واجتناب النوّاهي- إلى أبعد من ذلك وهو التعلّق بفكرة الجزاء أو الثواب الأخروي وعدا بالجنة أووعيدا في النار ،واستحضار معاني الرحمة والعظمة والرهبة والجبروت في صفات الله و أسمائه الله الحسنى ،فيربط المسلم كل أعماله باليوم الآخر.

الفرع الثاني: أهميتة التزكية في بناء السلوك

إنّ تزكية النّفس عملية إصلاحية وطيدة الصلة بفاعلية الدّرس العقدي تتجلى مظاهرها في سلوك الفرد والجماعة.

---

[1] محمد الغزالي السقا، محاضرات الشيخ محمد الغزالي في اصلاح الفرد والمجتمع، ص117،الموقع الإلكتروني: https://www.noor-book.com

[2] أنظر سعيد عمر بن دحباج، مقال بعنوان "مراجعات في فقه التّحلية والتّخلية: من منظور قرآني "، مجلة مركز جزيرة العرب للبحوث التربوية والإنسانية، المجلد 1، العدد3،، 30أكتوبر2019م.ص 80.

أولا: إصلاح الفرد

كما هو معلوم فإنّ المؤمن يحتاج في تثبيت إيمانه وتقويته إلى مستوى عالٍ من البذل والعمل ومجاهدة النفس حتى يبلغ مرتبة المؤمنين الحقّة ويشمله وصف الله تعالى في قوله عزوجل: ﴿ أُولَٰئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا ۚ لَّهُمْ دَرَجَاتٌ عِندَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ﴾[الأنفال: 4]

"فالمؤمن في هذه الحياة الدنيا ... في جهاد وصفه النبي صلى الله عليه وسلم بالجهاد الأكبر ألا وهو جهاد النّفس"[1].

وأهم طريق لجهاد النّفس حتى يكون لها الفلاح في الأولى وفي الآخرة هو التّزكية، قال تعالى: ﴿ قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّىٰهَاوَقَدْ خَابَ مَن دَسَّىٰهَا﴾.[الشمس: 8-9]

"والإسلام –في علاجه للنفس ابتغاء إصلاحها– ينظر إليها من ناحيتين : أنّ فيها فطرة طيبة ...ترى في الحق امتداد وجودها وصحة حياتها. وأن فيها –إلى جوار ذلك – نزعات طائشة "[2].

ولكي يحقق الدرس العقدي أثره من خلال تزكية النّفس والمتمثل في إصلاح الفرد وتقوية إيمانه وتحصينه، لا بد من توافر عدة شروط من أهمها:

1- امتثال أوامر الله عزوجل واجتناب نواهيه:

إنّ في الامتثال لأوامر الله عزوجل واجتناب نواهيه تجسيد لمعنى العبودية الخالصة له، والإيمان به وحده مستوجب للدخول في زمرة المؤمنين كما وصفهم الله تعالى في قوله: ﴿ إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُومِنِينَ﴾[الصافات: 81] ،" والمؤمن الصادق هو الذي عرف لهذه العبودية حقّها "[3] .

قال الله تعالى: ﴿ قُلْ إِنَّنِي هَدَانِي رَبِّي إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ دِينًا قِيَمًا مِّلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا ۚ وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾[الأنعام: 161-162]

فلا تثمر العبودية لله إلاّ في ظل التزكية التي أساسها التّخلية والتحلية:﴿ وَمَن يَأْتِهِ مُؤْمِنًا قَدْ عَمِلَ الصَّالِحَاتِ فَأُولَٰئِكَ لَهُمُ الدَّرَجَاتُ الْعُلَىٰ جَنَّاتُ عَدْنٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا ۚ وَذَٰلِكَ جَزَاءُ مَن تَزَكَّىٰ﴾[طه: -75-76]

---

[1] حسن رمضان فحلة ، الإيمان والإسلام ،المرجع السابق ، ص83.

[2] محمد الغزالي ،خلق المسلم ،ط15 ،مكتبة رحاب ، الجزائر ،1408هـ-1987م، ص23.

[3] يوسف القرضاوي ،المرجع السابق، ص96.

2- الاقتداء بالرسول صلى الله عليه وسلم واتباع منهجه:

يتناول الدّرس العقدي مسألة الاقتداء بالرسول صلى الله عليه وسلم في إطار الحديث عن تزكية النفس بنظرة مقاصدية تؤصل لتلك العلاقة التّبادلية بين المحبّة وصدق الاعتقاد، فتوحيد الله والإيمان به يقتضي من العبد صحة الاعتقاد القلبي المشفوع بمحبته عزوجل.

قال تعالى: ﴿ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِّلَّهِ ﴾ [البقرة: 165]، ولايتأتى كمال هذا الاعتقاد إلاّ بلازمه ومقتضاه ألا وهو حبّ نبيه صلى الله عليه وسلم والاقتداء به، وهي حقيقة أقرّها الله سبحانه فقال:

﴿ قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾[آل عمران: 31]

وقد أخبرنا الله كذلك بالغاية التي من أجلها بعث النبي صلى الله عليه وسلم فقال سبحانه: ﴿ هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْآيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا مِن قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾[الجمعة: 2]

ويقصد بقوله "**ويزكّيهم** " يطهرهم من الكفر والذنوب، وعليه فمحبة الله تستلزم وتستوجب محبة رسوله الكريم، ومحبة الرسول صلى الله عليه وسلم تقتضي وتستلزم الاقتداء به، لأنها سبب في صلاح الفرد وكمال إيمانه فإذا تمّكن حبه صلى الله عليه في القلب صار العبد زاكيا مترفعا عن حظوظ النّفس والدنيا وارتقى إيمانه إلى أعلى درجات الكمال، فقد قال عليه الصلاة والسلام: (لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحبّ إليه من ولده ووالده والنّاس أجمعين).[1]

3-وعيُ الفرد بحقيقة نفسه وظيفته في الكون الحياة:

إنّ وعيّ المؤمن بضرورة الإجابة عن تلك الأسئلة الإنسانية التي طالما حيّرت الفلاسفة والمفكرين الذين درسوا حقيقة الإنسان وعلاقته بالكون بعيدا عن نور الوحي والهداية الربانية، أمر باعث لخضوعه لله عزوجل واتصاله الإيجابي بالوجود كلّه،وآلية يتقوى بها إيمانه واعتقاده، فتزكو نفسه

[1]أخرجه البخاري في صحيحه ،كتاب ،المجلد الأول ،14/4 رقم الصفحة 198.(15) الإيمان، باب حب الرسول من الإيمان.

محققة الدافعية والفاعلية في السلوك " فإذا حصل للإنسان وعيّ بحقيقة نفسه فإنّ ذلك يكون قاعدة أساسية ينطلق منها في سبيل تزكية نفسه ".[1]

ويتأكد هذا المعنى في آيات كثيرة من القرآن الكريم كقوله تعالى: ﴿ قَالَ رَبُّنَا الَّذِي أَعْطَىٰ كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَىٰ﴾[طه: 50]

وبهذا يشعر الفرد " أن لوجوده غاية ولحياته رسالة "[2].

4-التّقرب إلى الله بالنوافل والعمل الصالح:

إذا عرف العبد ربّه وأقرّ بوحدانيته، وأدرك حقيقة نفسه وما يحيط به من عوالم ونواميس كونية، وأدرك مصيره ومآله، لزمه التّقرب من ربه في جميع أحواله، وذلك بالاستقامة في عمله والاستزادة من النّوافل والأعمال الصّالحة، ليصلح ما أفسد ويعوّض ما فرّط أو أنقص من واجبات، مقيما في تقرّبه إلى الله قلبه وجميع جوارحه، جامعا بين الخوف والرجاء. قال تعالى: ﴿ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُ ﴾[الإسراء: 57]

والخوف الذي نعنيه "أنّ المؤمن سدّ أبواب الخوف كلها، فلم يعد يخاف إلا الله."

قال تعالى: ﴿ يَخَافُونَ رَبَّهُم مِّن فَوْقِهِمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُومَرُونَ ﴾[النحل: 50]

أما الرجاء الذي نبتغيه فهو رجاء" مثوبة الله تعالى على ما يبتلي به الإنسان في ... وما أحوج الإنسان إليها[3]"

. قال الله تعالى: ﴿ أَحَسِبَ النَّاسُ أَن يُتْرَكُوا أَن يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَوَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْۖ فَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ صَدَقُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الكاذبين أم حَسِبَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ أَن يَسْبِقُونَاسَآءَ مَا يَحْكُمُونَ﴾[العنكبوت:1- 4]

وبهذا فإنّ التقّرب إلى الله مع استحضار الخوف والرجاء -بالمفهوم الذي سبق التّنويه إليه – مقصد من مقاصد تزكية النّفس وسلوك يتجلى فيه الإيمان بكل مقتضياته.

---

[1]عبد المجيد النجار ، مقاصد القرآن في تزكية الإنسان ،مجلة إسلامية المعرفة ،العدد95،السنة الرابعة والعشرون ،شتاء 1440هـ-2019.

[2]أنظر يوسف القرضاوي ، المرجع السابق ، ص129.

[3]يوسف القرضاوي ،المرجع نفسه ،ص165.

5 –الإخلاص لله عزوجل والقصد في القول والعمل:

إنّ صلاح العقيدة وفاعليتها في سلوك الفرد مرهون بالكلّية بصلاح النيّة وإخلاص القلب لله تعالى سائر أعماله ظاهرا وباطنا مصداقا لقوله تعالى: ﴿ وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُؤتُوا الزَّكَاةَ ۚ وَذَٰلِكَ دِينُ الْقَيِّمَةِ﴾[البينة: 5]

"فليس ظاهر الإنسان ،ولا ظاهر الحياة الدنيا هو الذي يمنحه الله رضوانه فإنّ الله تبارك وتعالى يُقبل على عباده المُخبتين المُخلصين ، ويتقبّل منهم ما يتقربون به إليه "[1].

ثانيا: إصلاح المجتمع

إن الدرس العقدي المعاصر يؤكد على أهمية البعد الجماعي في عملية الإصلاح ،إذ كان يتجه الإصلاح في الغالب إلى إصلاح الفرد في جانبه الروحي عن طريق غرس الفضائل في نفسه والابتعاد عن اتباع الشهوات .

ولأهمية ودور العقيدة الإسلامية في حياة المسلمين يحرص الدرس العقدي على تزكية الإنسان في بعده الجماعي حتى يكتمل التّصور الكُلي لمفهوم الإسلامية. قال الله تعالى: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَامُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُومِنُونَ بِاللَّهِ ۗ وَلَوْ اَمَنَ أَهْلُ الْكِتَابِ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُم مِّنْهُمُ الْمُومِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ الْفَاسِقُونَ﴾[آل عمران: 110]

ويطمح الدّرس العقدي من خلال مقاصد العقيدة إلى تزكية الإنسان في بعده الجماعي " بالبحث عن أصول الوفاق لا عن أصول الشّقاق به ".[2]

وهذا لأن ما يجمع الأمة الإسلامية أكثر ممّا يفرّقها، فما يجمع الأمة أصول إيمانية ثابتة ثبات مرجعيتها– الكتاب والسنّة – لا فروع تبعية متغيرة بتغير أصحابها —اجتهاد بشري– ونلاحظ أن في تزكية الله للأمة بالخيرية في الآية السابقة جمع بين التحلية والتخلية كأساس لتزكية– الأمة — مع تقديمه لجانب التحلية على التخلية وفي هذا إشارة –والله أعلم – إلى أنّه متى حصلت الهداية باجتماع الأمّة حول أصولها الإيمانية، فإنّ مفهوم التزكية في بعدها الجماعي لا يقف عند حدود الأمر بالمعروف والإصلاح في داخل الأمّة الإسلامية، بل يتجاوز أثرها وامتدادها لأداء الدّور الرّسالي للإسلام وإعلاء راية التّوحيد، كما أن التزكية بهذا المفهوم تجعل الأمة ملتفة حول قضاياها المصيرية باسم الإيمان لا غير، وهو الأصل: ﴿ إِنَّمَا الْمُومِنُونَ إِخْوَةٌ ﴾[الحجرات: 10]

---

[1] محمد الغزالي ، خلق المسلم ، مرجع سابق ، ص71.

[2] مصطفى وينتن، محمد بابا عمي، أصول الإيمان، مرجع سابق، ص85.

"وأعظم مكسب أنعم الله به على الإنسان في ظل الإسلام وحدة المسلمين واجتماع كلمتهم، فقد جعلها أعظم مقصد شرعي، ومكنّ الأتباع أن يسيروا على هدى السلف، بما يتعلمون من أصول دينهم التي كانت سبب هذه الوحدة ".[1]

ولكي يحققّ الدرس العقدي أهدافه والتزكية أثرها في إصلاح المجتمع لابد من مراعاة بعض الأسس الثابتة:

1- تحقيق العبودية لله وحده:

قال الله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ ﴾ [النحل: 36] يحرص الإسلام على التأسيس للتوحيد داخل الأمة محاربة منه لأي انحراف يقع على مستوى الجماعة ينافي عقيدة التّوحيد ويشتّت شملها، وفي ذلك تزكية ظاهرة لأمة التّوحيد ورجوع بها إلى بادئ أمرهم. قال سبحانه:﴿ كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً فَبَعَثَ اللَّهُ النَّبِيِّينَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ وَأَنزَلَ مَعَهُمُ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ فِيمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ وَمَا اخْتَلَفَ فِيهِ إِلَّا الَّذِينَ أُوتُوهُ مِن بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمُ الْبَيِّنَاتُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ فَهَدَى اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا لِمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ مِنَ الْحَقِّ بِإِذْنِهِ وَاللَّهُ يَهْدِي مَن يَشَاءُ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ [البقرة 213]. وفي هذا يقول[2] ابن جرير : " فإنّ دليل القرآن واضح على أنّ الذين أخبر الله عنهم كانوا أمة واحدة، إنمّا كانوا على الإيمان ودين الحقّ دون الكفر بالله والشرك به". ويقول تعالى مبيّنا الحكمة من خلق عباده:﴿ وَمَاخَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾[الذاريات: 56]

2-سيادة القيم الإنسانية والأخلاقية:

ونقصد بها في هذا المقام – التّزكية – تلك الفضائل والآداب المستوحاة من كتاب الله وسنة نبيّه عليه الصلاة والسلام، والأعراف المجتمعية التي تمّ تزكيتها بالشّرع، والتي تمايزها عن الحياة المادية البحتة في صورتها الحيوانية، ولقد زكّى الله تعالى نبيّه فقال سبحانه: ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ [القلم: 4]

وقال هو عن نفسه صلى الله عليه وسلم: (بعثت لأتمم مكارم الأخلاق) [3].

---

[1] مصطفى وينتن، محمد بابا عمي، المرجع نفسه ، ص86.

[2] أبوجعفر محمد بن جرير الطبري ،،تفسير الطبري جامع البيان عن تأويل آي القرآن ،تحقيق عبد الله بن عبد الله المحسن التركي ، مركز البحوث والدراسات العربية والإسلامية ، ج3، ط1 ،دار هجر ،القاهرة ،1422هـ -2001م ،ص626.

[3] أخرجه أحمد في مسنده أحمد (14/ 512) (8952) (8939)، والبخاري في ((الأدب المفرد)) (273) واللفظ لهما.

" ولا يستطيع أي مجتمع من المجتمعات أن يعيش أفراده متفاهمين متعاونين سعداء، مالم تربط بينهم روابط متينة من الأخلاق الكريمة ".[1]

لذا فإنّ تزكية النّفس في بعدها الجماعي مقصد تربوي يفعّل دور العقيدة الإسلامية ويزكي سلوك المجتمع ومن آثار هذا المقصد ما يلي:

أ-التّواضع فيما بين المسلمين والسّلامة من الإثم، قال الله تعالى: ﴿ وَعِبَادُ الرَّحْمَٰنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا﴾[سورة الفرقان: 63]

ب-التّعاون على ما ينفع المؤمنين ويحقق لهم سعادة الدارين، والابتعاد عن كل ما يشتّت شمل الأمة ويوقعها في الهلاك: ﴿وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ ﴾ [المائدة: 2] ﴿وَلَا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ ﴾[الأنفال: 46]

ت-حسن الظنّ بالمومنين ونبذ التّحيّز والتّعصب بكل أشكاله.

قال تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِّنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ ﴾[الحجرات: 12]

ث- التّأدّب مع العلماء والتزام حدود العلم، قال الله تعالى:

﴿ قَالَ لَهُ مُوسَىٰ هَلْ أَتَّبِعُكَ عَلَىٰ أَن تُعَلِّمَنِ مِمَّا عُلِّمْتَ رُشْدًا﴾[الكهف: 66]

﴿ وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ ۚ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَٰئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا﴾[الإسراء: 36]

ج-الصّدق في القول والعمل، قال الله تعالى: ﴿ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِآيَاتِهِ ۗ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ﴾[الأنعام: 21]

ح- إشاعة الرحمةواللّين بين النّاس قال الله تعالى:﴿ فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ لِنتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ ﴾[آل عمران: 159].

3-التّناصح والتّواصي بالحقّ والصبر:

إنّ العبودية لله وحده والقائمة على الإخلاص وتمام الامتثال له عزوجل، وسيادة القيم الإنسانية والأخلاقية -في مقدّمتها التّعاطف والتّراحم -لا تكتمل تزكيتها ولا تظهر مقاصدها إلاّ بتناصح وتواصي أفراد المجتمع بالحقّ والصبر وهذا مصداقاً لقوله تعالى: ﴿وَٱلۡعَصۡرِ إِنَّ ٱلۡإِنسَٰنَ لَفِي خُسۡرٍ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَتَوَاصَوۡاْ بِٱلۡحَقِّ وَتَوَاصَوۡاْ بِٱلصَّبۡرِ ﴾ [العصر: 1-3]

[1] حسن حبنكة الميداني ، الأخلاق الإسلامية وأسسها ،ط4، دار القلم ن دمشق،سوريا، 1417هـ ،-1996م

" ولاريب أنّ هذا التّناصح الذي يكون بين أفراد المجتمع سيوجد تلاحماً قوياً ويمكّن للأخوة الإيمانية في قلوبهم ".[1]قال الله تعالى:

﴿ وَالْمُومِنُونَ وَالْمُومِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَامُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُوتُونَ الزَّكَاةَ وَيُطِيعُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَٰئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾[التوبة: 71]

ومماّ نخلص إليه في الحديث عن هذه المسألة هو أنّ النّصيحة سلوك اجتماعي حضاري يعبّر عن الأمر بالمعروف والنّهي عن المنكر وهي من صميم العقيدة، فكل انحراف عن التّوحيد- الشّرك- يصيب بعضا من الأمّة يستوجب من البعض الآخر تقديم النّصح قصد العُدول عنه.

الفرع الثالث: أسس التّزكية ووسائل تحققّها

إنّ الدّرس العقدي يهدف في مجموع عملياته الفكرية والتعليمية إلى تفعيل مضامين ومقاصد العقيدة الإسلامية في حياة المسلم، وذلك من خلال بناء السّلوك القويم لدى المسلم – فردا وجماعة – في إطار التّزكية، والتأسيس لها عقديا بما أتيح لها من وسائل تعمل على تحقيقها.

أولا: الأسس العقدية في تزكية النّفس

لتّزكية النّفس أسس عقدية لابدمن توافرها فالمسلم مكلّف بمعرفتها وادراكها ومنها ما يلي:

1-العلم النّافع:

يركّز الدّرس العقدي على تثبيت الإيمان بتزكية النّفس الدالة على أثر ذلك الإيمان بجميع مقتضياته وأبعاده المختلفة على سلوك المسلم، إذ القصد من التكليف بعقيدة التّوحيد هو أساس ما جاء في القرآن الكريم من مقاصد تزكية الإنسان، وهذا المقصد يشترط فيه العلم النّافع السابق لكل سلوك قال تعالى:

﴿ فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا اللَّهُ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنبِكَ وَلِلْمُومِنِينَوَالْمُومِنَاتِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثْوَاكُمْ﴾ [محمد: 19]

ونتحرز بكلمة "**النّافع**" عن كل علم لا يؤتي نتاجه في النّفس لأي سبب أو مانع بشري يُحرّفه عن مسلكه، وبما أنّ التّزكية تعرف بأثارها البادية على السّلوك فإنّها " شيء زائد عن العلم ؛إذ العلم يُعطي القواعد والبيان لكل شيء، فالتّزكية تطبيق لهذا العلم على النّفس البشرية...وهذا شيء للكسب فيه نصيب ولكن عطاء الله هو الأساس ".[2]

[1]محمد إبراهيم شنيقرة، المجتمع الربّاني، ط2،المكتبة الإسلامية، عمان –الأردن-، 1411هـ-1991م ص26.

[2]سعيد حوّى، الأساس في التّفسير، ج1، ط1، دار السلام، القاهرة، 1424هـ، ص322،323.

ويستلزم ذلك أن يتولى التّنظير أو التأصيل العقدي لمسألة التّزكية من هم أهل لها من العلماء المتبصرين بدقائق الأمور العقدية، السّابرين لأغوار النّفس البشرية، الواعيين بما يحيط بهم. قال تعالى:

﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ۗ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الْأَلْبَابِ ﴾[الزمر: 9]

ونستنتج مما سبق أنّ العلم النّافع والتّزكية متلازمان، فلا تزكية بلا علم، ولا علم بلا تزكية، وأنّ العلم النّافع أساس عقدي نظري أثره التطبيقي –السلوكي– هو التّزكية.

2– القراءة التّوحيدية للأصول العقدية

تعتبر القراءة التّوحيدية أساسا منبثقا عن العلم النّافع وترجمة عملية له،لكننا حاولنا أفرادها كأساس عقدي مستقل لما لها خصوصية وفاعلية مباشرة تربط مسألة التّزكية بموضوع العقيدة الإسلامية.

لذا يحمل الدرس العقدي –كما أشرنا –على عاتقه بيان المقصود بالعقيدة الإسلامية الصحيحة من خلال الوقوف على ما تقرّر في الوحي من إثبات لأصولها والمتمثّلة في أركان الإيمان الستّة الواردة في الكتاب والسنة الصحيحة.

"كما ينبغي أن تقرأ الأصول الإيمانية العقدية دوما بما يمكّن من توحيد المسلمين "[1] على مختلف المناحي والأصعدة، وقد دلّت على ذلك نصوص قرآنية كثيرة منها قوله تعالى:﴿ليسَ الْبِرَّ أَنْ تُوَلُّوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَالْمَلائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ وَآتَى الْمَالَ عَلَى حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَالسَّائِلِينَ وَفِي الرِّقَابِ وَأَقَامَ الصَّلاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَالْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَاهَدُوا وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ وَحِينَ الْبَأْسِ أُولَئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ﴾[البقرة:177].

فالقراءة التّوحيدية للأصول العقدية أساس عقدي هام في تزكية وتوجيه سلوك الفرد والمجتمع على حد السواء "ووحدة جامعة بسبب وحدة الأصل ووحدة الغاية ووحدة المبدأ في تكريم الإنسان بمقتضى الإنسانية."[2]

ويمكننا أن نقف مع المعاني السالفة الذكر ونمثّل لكل واحدة منها بآية قرآنية كما يلي:

[1] مصطفى وينتن، محمد بابا عمي ، المرجع السابق، ص 103.

[2] عبد المجيد النجار، مقاصد القرآن في تزكية الإنسان، المرجع السابق، ص27.

أ–وحدة النّوع والأصل:قال تعالى:﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴾[الحجرات: 13]

ب– وحدة الدّين: قال الله تعالى: ﴿ إِنَّ الدِّينَ عِندَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ ﴾[آل عمران: 19]

ت– وحدة المصدر: قال الله تعالى: ﴿ قُلْ إِنَّمَا أَتَّبِعُ مَا يُوحَىٰ إِلَيَّ مِن رَّبِّي ۚ هَٰذَا بَصَائِرُ مِن رَّبِّكُمْ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّقَوْمٍ يُومِنُونَ﴾[الأعراف: 203]

ث– وحدة الغاية: قال الله تعالى:﴿ إِنَّ هَٰذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاعْبُدُونِ ﴾[الأنبياء: 92]

ج–وحدة المنهج: قال الله تعالى: ﴿ وَأَنَّ هَٰذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُوَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِ ذَٰلِكُمْ وَصَّاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾[الأنعام: 153]

ح– وحدة الاتّباع والاقتداء: ﴿ لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا﴾[الأحزاب: 21]

وختاما يمكن القول أن التزكية في بعديها الفردي أو الجماعي تستوجب توافر تلك القراءة التوحيدية للأصول العقدية كأساس يتقوّم به سلوك الفرد والأمّة،" فالإيمان الذي أراده الله من النّاس وكلّفهم به ورد البيان الواضح بجميع معالمه في آيات القرآن الكريم وأحاديث النّبي صلى الله عليه وسلم."[1]

3–الاعتصام بالكتاب والسنّة:

من أهم الأسس العقدية في تحقيق التّزكية الوحي ممثلا في القرآن والسنّة الصحيحة.

أ– **القرآن الكريم**: بما أنّه كتاب الله الذي تعهّد بحفظه من التّحريف والتزييف فقال: ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾[الحجر: 9]، فإنّ العقيدة الإسلامية تستمد أصولها الإيمانية منه، فهي إذن أصول ثابتة تجعل من التّزكية –بشقيها تحلية وتخلية– أمرا ممكناً وسلوكا ظاهرا في الدنيا مثمرا في الآخرة.

فإذا علم المؤمن وأدرك عصمة هذا الكتاب لزمه الاعتصام بما جاء فيه من هدي وتزكية خاصة ما يثبت عقيدته وإيمانه قال تعالى: ﴿ إِنَّ هَٰذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ الْمُومِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا﴾. [الإسراء: 9]

[1] عبد الله بن عبد الرحمن الجربوع، أثر الإيمان في تحصين الأمة الإسلامية ضد الأفكار الهدامة، ط1، ج1، الجامعة الإسلامية ، المدينة المنورة ، 1423هـ –2003م، ص29.

ب– السُنّة النّبوية الصحيحة:

وهي الأصل الثاني بعد القرآن الكريم، فإذا لزم المؤمن الاعتصام بالسنّة النبوية الثابتة، فقد أطاع الله وأطاع رسوله الكريم الذي جاء يعلمنا ويزكّينا بوحي من الله، قال تعالى:﴿ وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَى مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَى وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَى إِنْ هُوَ إِلا وَحْيٌ يُوحَى ﴾.[النجم:1-4]

ومن الشّواهد المؤكدة على وجوب الاعتصام بسنّته عليه الصلاة والسّلام تحقيقا لتزكية النّفس وفاعلية العقيدة في واقع الحياة بما يحقق سعادة الدّارين:

–اقتران طاعة الله بطاعة نبيّه صلى الله عليه وسلم حيث قال سبحانه: ﴿ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾. [آل عمران: 132]

–الجمع بين محبته سبحانه ومحبة نبيّه عليه الصلاة والسلام فقال عزوجل: ﴿ قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾[آل عمران: 31]

ومما سبق تقديمه يمكن أن نخلص إلى النقاط التالية:

–أنّ تزكية النّفس من منظور الدرس العقدي لا تقوم إلا على أساس عقدي، وثابت من القول والفعل، ركائزها العلم النّافع، والاعتصام بالوحي مصدرا، والالتفاف حول أصول الإيمان عقيدة ومنهجا وسلوكا.

– أنّ التّزكية تثمر بمقدار ما يحصل به اليقين ويتعلّق به القلب في الدنيا والآخرة.

– أنّ التّزكية في بعديها الفردي والجماعي مقصد من مقاصد العقيدة وأثر سلوكي من أثار الدّرس العقدي.

– أنّ التّزكية ثمرة للاعتقاد الصحيح ودافع لتحصين المسلم في الدنيا، وسبيل للخلاص والنجاة في الآخرة.

ثانيا: دور التزّكية في تفعيل العقيدة

يسعى الدّرس العقدي إلى تفعيل دور الإيمان في حياة النّاس بما يزُكيهم فيُشبع حاجاتهم الوجدانية والفكرية ويوجّه سلوكهم ليحقق لهم السّعادة في الدّنيا والآخرة، إذ يدفعُ الإيمانُ صاحبَهُ إلى بلوغ المراتب العلا ويكسبه القوة والثقة الكاملة، واليقين الصادق لمجابهة كل ما لا يتفق مع أصول العقيدة الإسلامية الثابتة.

وتكسب العقيدة الصحيحة فاعليتها وامتدادها العملي في حياة المسلم من خلال التّزكية التي تعمل على تفعيلها عناصر العقيدة الأربعة (الفطرة، العقل، الغيب، الشّرع) حسب ما ذهب إليه الأستاذ عبد العال سالم مكرم في كتابه " أثر العقيدة في بناء الفرد والمجتمع "، وهو ما نميل إلى اختياره

كذلك – التقسيم – باعتبار شموليته للعناصر الفاعلة والرابطة بين عالم الغيب وعالم الشهادة، وهو المحور الأساس للعقيدة الإسلامية، ويبررالأستاذ عبد العال سالم ذلك بقوله:

" إنّ للعقيدة عناصر تتكون منها لتنبعث منها طاقة دونها كُل طاقة وقوة ، إنّها طاقة تصل الأرض بالسماء".[1]

وعلى هذا الأساس اخترنا هذا التقسيم آخذين بعين الاعتبار أهم ما يخدم موضوعنا من إسقاطات بحثية في الموضوع على النحو التالي:

1- الفطرة

منهج تفعيل الفطرة هو منهج قرآني تتجلى صوره المنطقية في كثير من الآيات القرآنية بقصد تعزيز الشعور بالإيمان استنادا للخطاب الإلهي المعدّد لتجليات قدرته سبحانه، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿ وَإِذَا مَسَّ الْإِنسَانَ الضُّرُّ دَعَانَا لِجَنبِهِ أَوْ قَاعِدًا أَوْ قَائِمًا فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُ ضُرَّهُ مَرَّ كَأَن لَّمْ يَدْعُنَا إِلَىٰ ضُرٍّ مَّسَّهُ ۚ كَذَٰلِكَ زُيِّنَ لِلْمُسْرِفِينَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾[يونس: 12]

فاللجوء إلى اللّه تعالى وقت الشّدة دليل على تحرك الفطرة نحو الاتجاه الصحيح وعودة بها إلى أصل الإيمان والأمثلة القرآنية كثيرة في هذا الباب، وعليه "فالمنطق الفطري الذي نبحث عن صوره في القرآن الكريم هو المنطق المحايث للطبيعة البشرية التي تستقبل الخطاب الإلهي. "[2]

لذا فإنّ تفعيل الفطرة واجب شّرعي وأولوية من أولويات الدرس العقدي وهو- الواجب- غير عصيّ عن التّحقيق لما للفطرة من خصائص تميزها عن غيرها من الصفات الإنسانية من أهمها [3]:

أ- أنّها أصيلة في الإنسان مرتبطة بعلة وجوده غير مكتسبة

ب- أنّها ذات توجّه معرفي علمي.

ت- أنّ لها تأثير واعي في السلوك الإنساني.

ث- أنّها غير قابلة للزوال والتلاشي وإن تعرّضت للانحراف.

ج- أنّ تتسم بالعموم والشمول لكل البشر.

---

[1] عبد العال سالم مكرم ،أثر العقيدة في بناء الفرد والمجتمع ،مرجع سابق ،ص07.

[2] محمود يعقوبي، المنطق الفطري في القرآن الكريم، د.ط، ديوان المطبوعات الجامعية، الساحة المركزية بن عكنون،الجزائر،2000م، ص18.

[3] أنظر :علاء عبد علي السعيدي، دليل الفطرة وبداهة المعرفة الفطرية، مرجع سابق، ص 26.

2- العقل:

لقد وهبنا الله عزوجل نعماً كثيرة أهمها – بعد نعمة الإسلام – نعمة العقل، مما يدل على مدى اهتمام الإسلام بالجانب العقلي، لذا فإنّ الإسلام "دين العقل ودين البحث والنظر والفكر، وعقيدته تَعتَبرُ أن العقل مع نصوص الوحي أساسيان لبناء الجانب الإيماني ولا تعارض بينهما، لأنّ كل منهما منحة من الله، ومنح الله لا تتعارض ". [1]

وانطلاقا من هذا المفهوم فإنّ العقل أداة هامة في ترسيخ وتقوية الإيمان من خلال إدراكنا لحقائق ما يحيط بنا من ظواهر، وذلك بإعمال الفكر والتدبّر في ملكوت الله وهذا العالم الفسيح، ممّا يحصل به اليقين والعلم الصحيح الموصل إلى معرفة الله تعالى، وهو السبب الذي جعل نظرة علماء المسلمين للعقل تتمّيز عن نظرة غيرهم له وذلك حين قالوا: "إنّ العقل ملكة وغريزة ونور وفهم وبصيرة وهبها الله –سبحانه وتعالى –للإنسان. "[2]

وهناك توافق بين العقل والفطرة "فلقد جاء الدّين بما يكمّل الفطرة، ويأخذ بيد العقل، ولم يجيء بما يُصادم الفطرة."[3]

ويفهم من ذلك أن هناك علاقة تلازم بين العقل والدّين، ويلخص مضمون هذه العلاقة قول الراغب الأصفهاني في عبارته القيّمة والتي مفادها أنّ: " العقل قائد والدين مدد، ولو لم يكن العقل لم يكن الدّين باقياً، ولو لم يكن الدّين لأصبح العقل حائراً، واجتماعهما –كما قال الله تعالى: ﴿ نورٌ على نورٍ﴾ [النور: 35]"[4].

3- الغيب

من مقتضيات الإيمان هو الاعتراف بأنّ هناك عالماً غيبياً لا يمكن للعقل أن يدركه أو يفقه كنهه لأنّه يتجاوز عالم الأسباب والمسبّبات والعلل والمعلولات، وفي هذا امتحان حقيقي وأثر بالغ

---

[1] محمد أحمد حسين، مكانة العقل في القرآن والسنة، أبحاث ووقائع المؤتمر العام الثاني والعشرون، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، موسوعة الاقتصاد والتمويل الإسلامي، ص06، نقلا عن الموقع الإلكتروني: https://iefpedia.com/

[2] محمد عمارة،مقام العقل في الإسلام،ط1، دار نهضة مصر، القاهرة، فبراير 2008م،ص10.

[3] يوسف القرضاوي، الإيمان والحياة، مرجع سابق ، ص85.

[4] أبو القاسم الحسين محمد الراغب الأصفهاني ، الذريعة إلى مكارم الشريعة ، تحقيق أبو اليزيد أبو زيد ،د.ط ،دار السلام للطباعة والنشر ، القاهرة ،1428هـ-2007م،ص157-158.

على السلوك إذ باستسلام العقل لماوراء الكون إيمان بالجنّة والنار والبعث والنّشور والحساب والعقاب والملائكة والجنّ والنّاس في ذلك يتفاوتون، وهذا التفاوت ناجم عن مقدار ما يؤسسه الدرس العقدي من مكونات العقيدة السالفة الذكر –الفطرة والعقل– من تزكية وأثر على النّفس، ومن الأمثلة التي تعزز وتزكي إيمان العبد بالغيب ولادة عيسى عليه السلام من غير أب، وهو مااخترق عالم الأسباب وقصُر العقل عن تفسيره، ليأتي الله مفسّراً ذلك بعظيم قدرته التي تتجاوز السبب والمسبب، فقال تعالى: ﴿ إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِندَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ ۖ خَلَقَهُ مِن تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُن فَيَكُونُ﴾[آل عمران: 59]

4– الشّرع

ويقصد به في هذا المقام كل ما أوحي إلى الرسول صلى الله عليه وسلم، ممثلا في القرآن الكريم والسنّة الثّابتة –كما سبق وأن أشرنا – وأساس الشّرع قائم على مرافقة العناصر المكونة للعقيدة (الفطرة، العقل، الغيب) وموجّه لها، وفي ذات السياق يعتبر حجّة للمؤمن أو حجة عليه، به تتزكى النّفس ويعتدل السّلوك، فقد بيّن الله تعالى الغاية من إرسال الرسل جميعا ألا وهي التّوحيد فقال سبحانه: ﴿ وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ ۖ فَمِنْهُم مَّنْ هَدَى اللَّهُ وَمِنْهُم مَّنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ الضَّلَالَةُ ۚ فَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ﴾[النحل: 36]

ولأهمية الشّرع في ترسيخ العقيدة أمرنا المولى عزوجل أن نؤمن بهؤلاء الرسل وبما أنزل عليهم من كتب فقال:﴿ آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِ وَالْمُومِنُونَ ۚ كُلٌّ آمَنَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ ﴾[البقرة: 285]، فما قصُر فيه إدراكنا من عالم الغيب جاء الشّرع مخبراً عنه أو موجّهاً له كالإخبار عن اليوم الآخر وما يقع فيه من مشاهد البعث والحساب، ومثاله من القرآن الكريم بيان لحقيقة البعث بعد الموت قوله تعالى: ﴿ وَهُوَ الَّذِي يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ ۚ وَلَهُ الْمَثَلُ الْأَعْلَىٰ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ۚ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾[الروم: 27]

ومما يستنتج في ختام حديثنا عن تفعيل هاته العناصر أنّ الدّرس العقدي يولي اهتماماً بالغا للجمع بينها وذلك حتى يحدث الإيمان أثره في تزكية النّفس في بُعديها الفردي والجماعي وتحقق العقيدة مجموع أبعادها.

وصفوة القول: في ختام هذا المبحث أن تزكية النفس وفق ما يقرره الدرس العقدي المتّبع لمنهج النبي صلى الله عليه وسلم هي تطهير للنّفس من الشّرور والآثام –تخلية– حتى تحصّل بذلك تنمية خيرية –تحلية – شاملة تعكس علاقة المخلوق بالخالق كأنّها تراه، وعلاقة المخلوقين فيما تقيمه لهم عقيدة التّوحيد من أواصر المحبة والتّعاون والإخاء والاتحاد، فهي عملية سلوكية متواصلة هدفها بلوغ أعلى المراتب حتى تصل إلى مراتب الإحسان في بعديها الفردي والجماعي الذي جسّده بصدق رسولنا الكريم وسلف هذه الأمة رضوان الله عليهم.

المبحث الثاني

تحديات وتجليات

الدرس العقدي

تمهيد:

يواجه الدرس العقدي اليوم تحديات فكرية وعقدية كبرى، قد تحول بينه وبينما يرمى إلى تحقيقه من أهداف ومقاصد تعيد للعقيدةالإسلامية فاعليتها في الحياة وتأثيرها على سلوك الفرد والأمة، مما يستدعي إعادة النّظر في واقع الدّرس العقدي وضرورة العمل على صياغة منظومة فكرية وعقدية تستمد مرجعيتها من الكتاب والسنة، لاسيما في ظل ما تشهده السّاحةالإسلامية من قصور للمنهج الفكري وفساد للتّصور العقدي البعيد كل البُعد عن فهم أسلافنا من جيل الصّحابة رضوان الله عليهم، ذلك الجيل المتفرّد الذي استطاع أن يجمع ويربط بين المعتقد والعمل.

ولعل من أولى الاهتمامات الفكرية والعقدية المنبثقة عن تلك الصياغة الاهتمام ببناء الفكر وتوجيه الفطرة وحمايتها من كل انحراف أو فساد، وذلك بغيةالتّأثير في سلوك المسلم فردا وجماعة مما تقتضيه أصول الإيمان وفي مقدمتها التوحيد، فيدرك الفرد حقيقة وجوده ويستعيد كرامته كما تستعيد الأمّة وحدتها ورسالتها الحضارية بين الأمم في إطار وعيها بقضاياها المركزية.

وهو ما سنقف عليه في هذا المبحث عندما نتطرق الى الحديث عن بناء الفكر الإسلامي، والتّوجيه الفطري السّليم، وبيان المرجعيّات الضّابطة والأدوات الفاعلة لكل منهما، ثم الانتقال الى الحديث عن وحدة الأمة وسُبل تحقيقها، بالإضافةإلى إيراد نماذج تطبيقية تُعدّ انعكاسا لما سبق الإشارةإليه وفي مقدمتها الحديث عن قضية القدس وبيان حقيقة الصّراع العقدي فيها، ومدى تأثير الدّرس العقدي على سلوك المسلمين تجاهها، وما تقتضيه العقيدة الإسلامية من دفاع عن الإسلام وقضاياه المركزية .

المطلب الأول: بناء الفكر الإسلامي والتّوجيه الفطري السّليم:

يُعرّف مُصطلح البناء الفكري كمركب وصفي ومصطلح معاصر من كلمتي (البناء والفكر) فقد عرفه حسان عبد الله بقوله: " البناء الفكري هو عملية ومَهمّة و وظيفة عملية يتحقّق من ورائها امتلاك العقل المسلم تصوراً متكاملا عن الكون والطبيعة والإنسان والخالق، يصدر من مرجعيته العليا المتجاوزة (المتجاوزة عن الخلق) التي يستطيع بها (أي تلك الرؤية) تفسير الظواهر. "[1].

وممّا يمكن أن نستنتجه من هذا التّعريف أنّ عملية البناء الفكري تستلزم ما يلي :

1- وجود وامتلاك تصّور سابق ومتكامل عن الله والكون والإنسان.

2- توفر دافعية واقعية لتفسير الظّواهر المحيطة بنا والإجابة عن الأسئلة الكبرى في هذا الكون.

3- التقيّد بمنهج معين يتوافق مع الفطرة والعقل ورسم خطة محددة الأهداف .

4- الانطلاق من مرجعية عليا دينية تتجاوز حدود التّفكير البشري لتُوجّهَهُ بما يتوافق مع السُنن الكونية.

5- ضرورة امتلاك أدوات بناء فكرية على درجة عالية من الفعالية تنضوي تحت عمل مؤسساتي مُنظّم وممنهج.

6- توفر قصدية النظر والتأمل لإنتاج أو تعديل سلوك أو امتلاك خبرة فاعلة في الحياة.

وعليه فالفكر يعتبر أهم خاصيّة تجسّد قمّة التّكريم الإلهي للإنسان وإلى هذا المعنى يشير ابن القيّم –رحمه الله –فيقول: " لولا الفكر لما اهتدى الإنسان إلى تحصيل المصالح ودفع المفاسد، وذلك من أعظم النّعم، وتمام العناية الإلهية، ولهذا فقدَ البهائم والمجانين، ونحوهم هذه القوّة ولم يتمكنوا مما تمكّن منه أرباب الفكر"[2].

---

[1] أنظر: حسان عبد الله ، تبديد العقل المسلم.. نظرة في البناء الفكري، الموقع الإلكتروني :https://islamonline.net/

[2] ابن قيم الجوزية، التبيان في أقسام القرآن ، المجلد 1 صفحة : 258 الموقع الإلكتروني : https://ito.lib.eshia.ir

وممّا يمكن أن نقف عليه في هذا التعريف عبارة"**ونحوهم**" إذ نستقرأ منها أن وصف البهائم والمجانين قد تتّسع دائرته لتشمل حتى الإنسان نفسه، وذلك متى عطّل عقله عن أداء وظيفته الفطرية وخصائصه الإنسانية، بل قد يكون دون ذلك منزلةً.

لذا فإن " الإسلام يرى طبيعة الإسلام طبيعة غريزية عقلية، لها غرائز تدفعها بلا شعور، ولها عقل يفكر ويُرجّح، ويختار، قبل أن يدفع نحو العمل والسّلوك"[1].

وانطلاقا من هذا النّسق العلمي فإنّ من أوجب الواجبات اليوم وحتى يتمثّل المسلم عقيدته الإسلامية واقعاً عملياً كأثر بارز للدّرس العقدي على سلوك الفرد والمجتمع هو إعداد المسلمين إعداداً فكريا سليما يُرشد العقل ويُذهب الفطرة، "وقد دلّت التّجارب أن إصلاح سلوك الفرد يتناسب طردا مع سلامة أفكاره ومعتقداته، وأن فساد سلوك الفرد يتناسب كذلك مع مدى تضاؤل العقائد السليمة في كيانه الفكري واحتلال العقائد الفاسدة في محالّها ".[2]

ولا يتّم هذا الإعداد إلاّ بإعادة تشكيل الدّرس العقدي بما يوافق المنهج القرآني القائم على إثبات التّوحيد وما يتبعه من أصول عقدية –أصول الإيمان الستّة – والربط بينها وبين سلوك المسلم لينفعل بها في ذاته وتتفاعل معها حركة الحياة .

الفرع الأول: المرجعيات الضابطة للفكر الإسلامي

أولا: القرآن الكريم

يعتبر القرآن الكريم المصدر الأول للتّلقي والمعيار الثّابت الذي يُحتكم إليه، فهو الكتاب الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، والمعجزة الخالدة المؤيدة للنّبي صلى الله عليه وسلم، بها أرشد وعلّم ووجّه وزكّى أمّته، فأخرجهم من الضلالة إلى الهدى ومن الشّك إلى اليقين ومن ظلمات الجهل إلى نور العلم، فقال سبحانه: ﴿ هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا مِن قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾[سورة الجمعة: 2]

وقد اشتمل القرآن الكريم على مساحة كبيرة من آياته تدعو إلى التعقّل والتّفكر،وفي هذا دلالة بيّنة وواضحة " لأهمية ذلك في حياة الإنسان سواء في مجال الوصول إلى المعرفة الهادية إلى الإيمان

[1]محمد البهي، الفكر الإسلامي والمجتمع المعاصر، ط2 ، دار الكتاب اللبناني ،بيروت، ، 1982م ، ص 21.

[2]عبد الرحمن حسن حبنكة الميداني، العقيدة الإسلامية وأسسها، ط14، دمشق، دار العلم، 1430هـ_ 2009م، ص10.

بالله تعالى – وما يتبعها من أصول– أو القيام بوظيفة الاستحلاف في الأرض من أجل تأثير فاعل في الكون والحياة"[1].

وعليه فإنّ الحديث عن البناء الفكري الذي يقيم للعقل أفآقه وحدوده ويوجّه الفطرة وفق المنظور القرآني، لا يمكن لبحثنا أن يسعه في هذا المقام، إلا أننا حاولنا رصد بعض الاستنتاجات على سبيل المثال لا الحصر ولعل أبرزها ما يلي :

1– إنّ التفكير فريضة شّرعية وضرورة إيمانية لمعرفة الحقّ.قال تعالى: ﴿ أَوَلَمْ يَتَفَكَّرُوا فِي أَنفُسِهِم مَّا خَلَقَ اللَّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ وَأَجَلٍ مُّسَمًّى ﴾[الروم: 8]

2– الدعوة إلى عدم تعطيل العقل والحواس: ﴿وَفِي أَنفُسِكُمْ ۚ أَفَلَا تُبْصِرُونَ﴾[الذاريات: 21]

3– عدم الاكتفاء بما تدركه الحواس من موجودات من حولها، وضرورة ارتقاء التّفكير إلى إدراك علل الموجودات " فإن الإنسان الذي لا يرتقي في تفكيره إلى إدراك علل الموجودات وتفسير الظواهر والأحداث، والاهتداء إلى الإيمان بالله تعالى فإنه يرتكس إلى مرتبة أقل من مرتبة الحيوان" [2]. قال تعالى: ﴿ أَمْ تَحْسَبُ أَنَّ أَكْثَرَهُمْ يَسْمَعُونَ أَوْ يَعْقِلُونَ ۚ إِنْ هُمْ إِلَّا كَالْأَنْعَامِ ۖ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلًا﴾ [الفرقان: 44]

4– النّهي عن التقليد المذموم بغير حجة للمقلد لأنّ فيه إلغاء للعقل وحجبا للحقائق. قال تعالى: ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا مَا أَنزَلَ اللَّهُ قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا ۗ أَوَلَوْ كَانَ آبَاؤُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ شَيْئًا وَلَا يَهْتَدُونَ﴾ [البقرة: 170]

ولهذا الطريق –التقليد المذموم– " مسالك كلها وهمية وخيالية برّاقة تعتمد على خداعٍ وهمي أو على عصبية ممقوتة، ولذلك فهو طريق مرفوض لا يقبله أي عقل سليم ومنطق منصف"[3].

ومما نخلص إليه بعد سرد هذه الاستنتاجات هو أن القرآن الكريم ضابط شرعي ومنهجي يتحكم في تلك العملية الذهنية، ويحدد الأطر العامة للتصورات الفكرية التي تنبع منها المفاهيم والسلوكيات وتتحدد على ضوئها المواقف حيال سلوك الفرد والأمة.

---

[1] محمود محمد عواد الهيشان، جوانب الفكر والتفكير في القرآن الكريم، رسالة ماجستير في الشريعة، جامعة اليرموك، الأردن، 1996م، ص 9.

[2] محمود محمد عواد الهيشان، المرجع نفسه، ص62.

[3] عبد الرحمان حسن حبنكة الميداني، المرجع السابق، ص49.

ثانيا: السنة النبوية الصحيحة

تعدّ السُنّة النّبوية ثاني أهم مرجعية (مصدر) للفكر الإسلامي بعد القرآن الكريم وتتجسّد هذه الأمة في ضبط تصورات ومفاهيم العقل المسلم وتأسيس المنهجية الفكرية وفق التّصور الإسلامي الصحيح، وإلى هذا المعنى يشير المولى في قوله تعالى: ﴿ إِنَّا أَنزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ بِمَا أَرَاكَ اللَّهُ ﴾ [النساء: 105]، فالسنّة النّبوية الصحيحة الثّابتة لا شك أنها مستمدة من القرآن الكريم، ومواقفة لأصوله وشارحة ومفسرة لألفاظه ومعانيه وحكمه وأسراره، "والمسلمون متفقون على إتباع السنة بوصفها المصدر الثاني للإسلام بعد القران الكريم، "[1].

ويمكن أن تحدد أهمية السُنّة النّبوية الصحيحة وواجب إتباعها باعتبارها مرجعية ضابطة للفكر الإسلامي انطلاقا من الأسباب التالية :

1– تبعيتها للقرآن الكريم قال تعالى:﴿ وَمَا يَنطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ﴾[النجم: 4]

2– أنها طريق لإرضاء الله سبحانه وتعالى ونيل محبته، قال الله تعالى: ﴿ قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾[آل عمران: 31]

3– اشتمالها على نماذج تطبيقية تدفع بالمسلم إلى التفكير السليم والسلوك القويم في الحياة ومثاله: أنّ رجلا قال للنبي صلى الله عليه وسلم: " أرسل ناقتي وأتوكل؟ قال: (اعقلها وتوكل) "[2].

وفي هذا دفع إلى الأخذ بالأسباب وتصحيح مفهوم التوكّل على الله وعلاقته بالقضاء والقدر.

4– أن فيها دعوة صريحة لطلب العلم وهو شرط أساس لتنميه التفكير. ومثاله كما جاء في الحديث الصحيح قوله صلى الله عليه وسلم: " من سلك طريقا يلتمس به علما، سهل الله له به طريقا إلى الجنة"[3].

وعلى هذا الأساس يولي الدرس العقدي اهتماما كبيرا بالسنة النبوية باعتبارها ملازمة للقرآن الكريم فهما وتطبيقا، ويؤسس من خلالها للفكر الإسلامي بما يتوافق ومبادئ العقيدة الإسلامية فيحقق أثارها على الفرد والمجتمع قولاً وعملا.

---

[1] محمد الغزالي، ليس من الاسلام، ط1 القاهرة، دار الشروق، 1418هـ، 1998م، ص. 34. 35.

[2] أخرجه مسلم برقم (8467) كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار، باب فضل الإجماع على تلاوة القرآن وعلى الذكر.

[3] أخرجه الترمذي في سننه وكتاب صفة القيامة(ج4/ص668) حديث رقم 2517.

" فعقيدة الإسلام عقيدة تتسع للروح والمادة والحق والقوة والدين والعلم، والدنيا والآخرة، إنها عقيدة التوحيد التي تغرس في النفس الكرامة أو الحرية، وتجعل الخضوع لغير الله كفرا وفسقا وظلما، وتأبى على النّاس أن يتخذ بعضهم بعضا أربابا من دون الله "[1].

وختام القول أن مصادر التفكير الإسلامي ومرجعياته الضابطة لمفاهيمه وتصوراته وسلوكياته ومواقفه، تتمثل أساسا ومنطلقا في القرآن والسنة النبويةوأنّ الاجتهاد المنضبط لا يعدوأن يكون اجتهادا "بشريا يمكنهم من إعادة الفاعلية لهذا الدين واتساع حاجتهم عقيدة وشريعة لتجديد مناهج الفهم وفق التّدين وإلى قدرة على تقويم مسيره حياتهم العملية والسلوكية بأفكار قائمة على القاعدة العقيدية ومصادر التّدين"[2].

الفرع الثاني: مؤسسات الدرس العقدي وأدوات البناء الفكري

يسعى الدّرس العقدي من وراء التفكير الإسلامي إلى تحفيز الراغبين في تحقيق رسالة الإسلام إلى أن "ينهلوا من الكتاب والسنة بمثل العمق الذي كان ينهل به الصحابة الكرام، ويحققوا في ذوات أنفسهم ما كانوا يحققون"[3].

وذلك وفق أدوات وآليات تؤطرها مؤسسات بناء فكرية تربوية وتعليمية فاعلة أهمها :

أولا: الأسرة

تعتبر الأسرة هي النّواة الأولى في تكوين المجتمع وبصلاح الأسرة يصلح المجتمع وبفسادها يفسد المجتمع الآباء، وهو مايدفع بالآباء إلى تحمل كافة المسؤوليات تجاه تنشئة أطفالهم وتنمية ملكاتهم واستعداداتهم الفطرية والفكرية، انطلاقا من تعاليم الدين وأصول العقيدة الإسلامية الصحيحة . مصداقا لقوله تعالى: ﴿ وَقِفُوهُمْ إِنَّهُم مَّسْئُولُونَ﴾[الصافات: 24]، وقوله صلى الله عليه وسلم: (كلكم راعٍ ومسؤول عن رعيته)[4].

---

[1]يوسف القرضاوي، الإيمان والحياة، مرجع سابق، ص 11.

[2]طاهر جابر العلواني، اصلاح الفكر الإسلامي،ط1، دار الهادي، بيروت، 1431هـ-2001، ص 17.

[3]محمد قطب، واقعنا المعاصر، مرجع سابق، ص 28.

[4]أخرجه البخاري في صحيحه من حديث عبد الله بن عمر رضي الله عنهما، كتاب الاستعراض، وأداء الديون، باب العبد راعٍ في مال سيده، رقم (2278) 2/ 848.

وليحدث الدرس العقدي آثاره في السلوك من خلال الأسرة فينشأ الأبناء نشأة فكرية وعقدية فاعلة في الحياة، تعيّن توافر عدّة شروط أهمها:

1- الحفاظ على سلامة الفطرة وحمايتها:فمهمة الأسرة تجاه الفطرة التي فطر الله عليها المواليد مزدوجة:[1]

أ- مهمة محافظة: من أي تغيير أو تبديل أو زيادة أو نقصان .

ب- مهمة حماية: من أي انحراف أو اختراق من قِبل الشّهوات والشّبهات.

ويؤكد ذلك قوله تعالى: ﴿ فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا ۚ فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا ۚ لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [الروم: 30]

والحفاظ على سلامة الفطرة يمتد أثره من الفرد إلى المجتمع "لأنّ المجتمع ليس مجرد عدد من الأفراد، وينبغي أن نحدد هنا أن وحدة هذا المجتمع ليست الفرد ولكنها الفرد المشروط (المكيف) فإنّ الطبيعة تأتي بالفرد في حالة بدائية، ثم يتولى المجتمع تكوينه ليكون طبقا لأهدافه الخاصة وهذا المعنى الذي نقصد إليه."[2]

وهذا الطرح الفكري مستمد من حديث الرسول صلى الله عليه وسلم: "كل مولود يولد على الفطرة فأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه"[3].

2- إشباع الجانب العاطفي والروحي لدى الطفل وتعويده على الأخلاق الحسنة عن طريق القدوة الحسنة (الرحمة، الحب، اللين، عدم الكذب...)

3- توجيه عقولهم نحو توظيف حواسهم لإدراك ما يحيط بهم من موجودات قصد ربطهم بفكرة الإيمان بالله تعالى التوحيد، ومثاله أن يعي أن للكون إلها واحداً انطلاقا من المثال الذي ساقه المولى

---

[1]يحيى محمد عامر راشد، مؤسسات البناء الفكري في ضوء القران الكريم،مجلة كلية الدراسات الإسلامية و العربية للبنات بدمنهور،جامعة الأزهر، المجلد 3، ع 3 (30 يونيو/حزيران 2018)، ص، 534.

[2]مالك بن نبي، مشكلات الحضارة ميلاد مجتمع، ج1، شبكة العلاقات الاجتماعية، ط1، دار الوعي للنشر والتوزيع، الجزائر، 1434هـ- 2013م، ص 65.

[3]أخرجه البخاري في صحيحه من حديث أبي هريرة رضي الله عنه كتاب الجنائز، باب ما قيل في اولاد المشركين، رقم (1885).

عز وجل في قوله تعالى: ﴿ لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا فَسُبْحَانَ اللَّهِ رَبِّ الْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ﴾[الأنبياء: 22]

4– إعتماد أسلوب الترغيب والترهيب في التربية بمنهج وسط يربطه شعوره بالخوف والرجاء والجزاء الأخروي، قال تعالى: ﴿ اعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ وَأَنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾[المائدة: 98]

وهو منهج يسعى إلى غرس العقيدة في نفوس النشء عن طريق ترغيبهم بالجنة ونعيمها، وترهيبهم من النار وعذابها، وبهذا يعتدل سلوكهم وتتضح فكرة العدل الإلهي وأن الجزاء من جنس العمل.

ثانيا: المسجد

يعوّل الدرس العقدي كثيرا على دور المسجد في إرساء وتثبيت العقيدة الإسلامية الصحيحة وبث فاعليتها في حياة المسلم على مستوى الفرد والمجتمع من خلال ربط الإيمان بالعمل والسلوك وتظهر أهميته كمؤسسة في ذلك الدور الديني والاجتماعي والفكري والحضاري.

لذا كان أول عمل قام به النبي صلى الله عليه وسلم عند هجرته الى المدينة المنورة هو بناء المسجد– مسجد قباء– وهو دليل على شرف المسجد ومكانته عند المسلمين قال تعالى﴿ وَأَنَّ الْمَسَاجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا﴾[الجن: 18]

وفي مايلي يلي سنقف على هذه الأهمية و هوما يهدف الدرس العقدي إلى تحقيقه من نتائج عملية سلوكية من خلاله أبرزها:

1– أنّ وظيفة المسجد الأساسية تحقيق العبودية لله ودعوة الناس إلى التوحيد على أساس من التقوى .قال تعالى:: " ﴿ لَّمَسْجِدٌ أُسِّسَ عَلَى التَّقْوَىٰ مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ أَحَقُّ أَن تَقُومَ فِيهِ ۚ فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَن يَتَطَهَّرُوا ۚ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُطَّهِّرِينَ﴾[التوبة: 108]

2– أنّ المسجد مكان يفترض أنّه لتلاوة القرآن وفهمه وتدبرّه باعتباره دستور المسلمين " فيجمعون بين النمو الفكري والحضاري بتعلم القران ودستور المجتمع والنمو الروحي والارتباط بخالقهم"[1].

3– أن للمسجد دورا هاما في تجديد الدّرس العقدي من خلال الترابط التفاعلي بين الواقع وبين تجديد مناهج تداولية الاعتقاد، لاسيما في مواجهه الأزمات والنوازل العقدية وخير مثال نسوقه على ذلك موقف أبي بكر الصدّيق –رضي الله عنه– في أوّل محنة واجهت الأمّة الإسلامية بعد انتقال النبي صلى الله عليه وسلم الى الرفيق الأعلى،"وبعدما كاد ثبات الأمة أن يتزعزع وجد الصدّيق الحل

[1] يحيى محمد عامر راشد، المرجع السابق، ص 549.

السريع الذي يقضي على هذه الأزمة في حينها وهو إحياء رأس الاعتقاد وهو التوحيد... وهذا كان أول درس عملي للمسلمين على الممارسة العقدية "[1].

أ– تنويع أساليب الخطاب بما يشمل الجانب العاطفي والعقلي للإسلام وبما يضمن التلازم بين البعد المعرفي والبعد الأخلاقي السلوكي.

ب– التنبيه إلى شخص الإمام وأهليته الفكرية والعلمية، إذ لابد من توافر تكوين فكري ومعرفي يؤهله لمواكبة مجريات الواقع بما تشتمل عليه العقيدة الإسلامية من مقاصد حتى ينأى بنفسه عن السخرية والتقليل من شأن الإمام كماأرادته العلمانية لتؤثر على الإسلام وعلى تعاليمه[2].

ثالثا: المؤسسات التعليمية

من أبرز مؤسسات الدرس العقدي هي المؤسسات التعليمية بمختلف أشكالها، ذلك أن التعليم وسيلة هامة لتحقيق التواصل بين المعلم والمتعلم، وتتفاوت درجة هذه المؤسسات بتفاوت مستويات المتعلم وإطارها الذي تنخرط فيه[3](أدناها التّعليم الابتدائي وأعلاها الجامعات ومراكز البحث العلمي).

ورؤية الدرس العقدي لهذه المؤسسات تتحدد من خلال الدور المنوط بها في ربط الجانب المعرفي النظري في تعليم العقيدة الإسلامية بالجانب السلوكي والعملي، وتحقيق تواصل إيجابي بين أطراف العملية التعليمية والتربوية والرامي إلى تكوين مسلم مؤمن يفقه واقعه ومحيطه ويجد حلا لمشاكله "وذلك بنقل الإيمان من ميدان التّصورات النظرية المعزولة إلى ميدان الشعور الحي المأنوس الواقع "[4].

لذا يتعيّن على المؤسسات الإسلامية في إطار بناء الفكر وتوجيه الفطرة أن تضع خطط علمية ومنهجية مستنبطة من مرجعيات هذا الدين –الكتاب والسنة – تشمل تأطير العناصر التالية: المعلم(مدرس العقيدة)، مادة التدريس (المضمون) والمتعلم (المتلقي)، على نحو لا يصرف التعليم عن واقع

---

[1] سونيا لطفي عبد الرحمن الهلباوي، مراعاة المقام في الدرس العقدي منذ العهد النبوي حتى عصر الميتافيرس،بحث مقدم إلى المؤتمر العلمي الدولي الخامس،جامعة الأزهر، مجلة كلية الدراسات الإسلامية والعربية للبنات بالإسكندرية، ص159.

[2] انظر: محمد البهي، الفكري الاسلامي والمجتمع المعاصر، مشكلات الحكم والتوجيه، ص 550.

[3] هناك مؤسسات حرة تعتمد على التعليم التقليدي يقودها مشائخولا تخضع لأي سلطة حكومية، وهناك مؤسسات أكاديمية رسمية تخضع لسلطة ورقابة الدولة كمدارس التعليم الابتدائية، والمتوسطات، والثانويات والجامعات ومراكز البحث العلمي.

[4] محمد الغزالي، ركائز الايمان، مرجع سابق ص127.

المسلمين خاصة العقيدة وإلى هذا المعنى يشير الشيخ محمد الغزالي الله بقوله: " أن أي علم يصرف المسلمين عن واقعهم وإطالة الفكر فيه، والعمل له إنما هو جهل فاعلم هذا جيدا"[1]

رابعا: المؤسسات الدعوية

ويمكن القول أنّه يسري عليها نفس ما يسري على المؤسسات التعليمية مع إضافة بعض الشروط كالآتي:

1- أن يكون هدفها إصلاح الفرد والمجتمع على حد السواء.

2- العمل على تزكية النفس وتنمية الجانب الروحي للمسلم وربطه دائما بالتوحيد.

3- الاهتمام بالجانب السلوكي للدعاة بتحقيقهم لمفهوم القدوة الحسنة.

ويتلخص منهجها في قوله تعالى: " ﴿ ادْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ ۖ وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ ۚ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِ ۖ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ﴾ [النحل: 125].

خامسا: المؤسسات الإعلامية

يعتبر الإعلام أحد أهم الآليات المؤثرة في جماهير الناس مما جعل الدرس العقدي يعقد آمالا عريضة فيما قد يقدّمه الإعلام المسلم لخدمة العقيدة والإسلام ويؤثر على توجيه أفكارهم وسلوكاتهم ويعود سبب هذا الاهتمام بالإعلام إلى ما يلي:

1- تعدد وسائل الإعلام من مكتوب ومرئي ومسموع، وبين مباشر وغير مباشر، فهو يشغل مساحة كبيرة في واقع المسلمين.

2- سرعه التأثير في الجماهير خاصة مع تطور هذه الوسائل في ظل تطور الشبكة العنكبوتية .

3- شمولية وسائل الإعلام لمختلف شرائح المجتمع باختلاف مستوياتهم الفكرية والعلمية والعمرية .

وخلاصة القول أن الدرس العقدي لا يؤتي ثماره وتأثيره الفعال في واقع المسلمين إلا بتلك المؤسسات التي تضمن للمسلم حصانة فكرية وعقدية في ضوء التمسك بكتاب الله وسنته ونحن مطالبون بتفعيل دورها.

[1] محمد الغزالي، تأملات في الدين والحياة، ط1، دار السراج، بيروت، 1431 هـ-2010م، ص 103.

المطلب الثاني: توحيد الأمة وتدبير الاختلاف

الفرع الأول: توحيد الأمّة

لقد ورد مصطلح الأمّة في القرآن الكريم بعدة معانٍ اختلفت مضامينها باختلاف السياقات التي وردت فيها، مما جعل علماء اللغة والمفسرين يجتهدون في تحصيل مُرادها عن طريق الشرح والتّأويل [1]، ومن أمثلة ماورد في القرآن الكريم قوله تعالى: ﴿ وَإِنَّ هَٰذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاتَّقُونِ﴾ [المؤمنون: 52]

﴿ بَلْ قَالُوا إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَىٰ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰ آثَارِهِم مُّهْتَدُونَ﴾[الزخرف: 22]

﴿ وَإِذْ قَالَتْ أُمَّةٌ مِّنْهُمْ لِمَ تَعِظُونَ قَوْمًا ۙ اللَّهُ مُهْلِكُهُمْ أَوْ مُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا ۖ قَالُوا مَعْذِرَةً إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ﴾[الأعراف: 164]

﴿ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَٰكِن يُضِلُّ مَن يَشَاءُ وَيَهْدِي مَن يَشَاءُ وَلَتُسْأَلُنَّ عَمَّا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾[النحل: 93]

ومن أهم المعاني الواردة في هذه الآيات —حسب المفسرين–ذات الصلة بمفهوم الأمة الذي نعنيه هو معنى الجماعة والطّريق المتّبعة، ومن ذلك ما ذكره الراغب الأصفهاني في مفردات القرآن من أنّ الأمة هي :"كل جماعة يجمعهم أمر ما، إما دين واحد أو زمان واحد، أو مكان واحد، سواء أكان ذلك الأمر الجامع تسخيرا أو اختياراً ".[2]

ومما نستنتجه أن لفظة الأمّة يتّسع معناها أو يضيق بحسب القواسم المشتركة، أو الأصول الجامعة التي تنضوي في إطارها تلك الجماعة، والمنهج الذي تتبعه.

وعليه فالمعنى الذي "ينقدح في ذهن المسلم —إذا ذكرت كلمة الأمة — هو الأمّة الإسلامية، فهو الذي يخطر بالبال ويخطر في العقل، لأنها الأمّة التي ينتمي إليها بحكم إسلامه، وهي الأمة

[1] أنظر ناصيف نصار، مفهوم الأمة بين الدين والتّاريخ ، دراسة في مدلول الأمة في التراث العربي الإسلامي، الموقع الإلكتروني: https://koha.birzeit.edu.

[2] راغب الأصفهاني، مفردات القرآن، تحقيق عدنان صفوان داودي، د.ط، دار العلم، دمشق، الدار الشامية بيروت، د.ت، ص86.

المذكورة في القرآن والسنّة،وتراث حضارته "[1]،وقد شهد مفهوم الأمة الإسلامية في العصر الحديث تجاذبات فكرية أخرجته في كثير من الأحيان عن مضمونه الحقيقي وامتداده الرسالي والحضاري قال تعالى: ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا ﴾ [البقرة: 143]

فتارة يختلط بمفهوم القطرية والإقليمية —الدولة — ليعبر عن كونها " جماعة سياسية مستقلة ذات إقليم محدد، يشترك أعضاؤها في الولاء لمؤسسة واحدة مما يؤدي إلى إحساسهم بالوحدة وبأنهم يكوّنون مجتمعا ولا يلزم لقيام الأمة أن تكون ذات أصل مشترك أو لغة واحدة أودين أو عنصر واحد "[2]. وتارة أخرى يتّسع مفهوم الأمة شيئا ما باسم القومية تحت شعار الأمّة العربية وقس على ذلك.

إلاّ أنّه يمكن القول أن مثل هذه المفاهيم بعيدة كل البعد عن المفهوم الحقيقي للأمة الإسلامية، فهي في غالبها – التعريفات — نتاج عملية ممنهجة – عمل الاستدمار الغربي والاستشراق، وما انجر عنهما من غزو ثقافي وفكري على نشرها في العالم الإسلامي قصد القضاء على الوحدة الجامعة للمسلمين وتقويض أركانها وذلك بإفراغ العقيدة الإسلامية من محتواها وبعدها التّوحيدي.

لذا وجب على الأمة الإلمام بالأصول العقدية المؤسسة لوحدتها، والوقوف على الشروط التي تدفع بها إلى التّحمل الإيماني في إطار أداء دورها الحضاري.

أولا: الأصول العقدية المؤسسة للوحدة

إنّ الحديث عن مفهوم الأصول الذي هو في مقابل الفروع وفق المعنى اللغوي، يختلف باختلاف اصطلاح العلم الذي تناقش في إطاره تلك الاطلاقات كما في اصطلاح الأصوليين، واصطلاح علماء الكلام وعلم العقيدة.

لذا فإنّ الدرس العقدي يعتمد على ما تعارف عليه أهل العلم والكتاب في مسائل العقيدة عل مسمى أصول الدّين لكي يفرّقوا بين معاني الأصول المختلفة، فيضيفوا عليه كلمة دين [3]،والمتتبع لتلك

[1] يوسف القرضاوي، الأمة الإسلامية حقيقة لا وهم، د.ط ، مكتبة وهبة، القاهرة ، 2004م ، ص2.

[2] محمد عمارة، في التنوير الإسلامي (35) هل المسلمون أمة واحدة، د.ط، دار نهضة مصر، مصر يونيه 1999م، ص38.

[3] أنظر طارق بن سعيد القحطاني، بحث بعنوان " مفهوم الأصول والفروع في العقيدة وتطبيقاته الخاطئة، قسم العقيدة، كلية الدعوة وأصول الدين، الجامعة الإسلامية، المدينة المنورة، ص25.

التّعريفات المتوافقة مع مبدأ وحدة الأمة هو يدرك أنّ المقصود بالأصول العقدية هي أصول الإيمان الستّة وهي: الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر والقدر خيره وشرّه، والتي قرّرها القرآن الكريم والسنة النبوية في أكثر من موضع – سبق الإشارة إليها – "وبالنسبة إلى العقيدة تصبح الأصول بهذا التّعريف والضبط هي ماورد به النّص أما ما بعد النّص فهو فرع منه، مبني عليه، ويدخل تحت مسمى النص هنا كل المبادئ العقدية التي نصّ عليها الوحي ثمّ ما فهمه النّاس بعد الوحي ينبغي أن يعتبر فرعاً من الفروع العقدية "[1]. وبناء على ماتقدّم ذكره نخلص إلى عدة نتائج أهمها:

1– أن حصر الأصول العقدية في أصول الإيمان الستّة موافق لما نزل به الوحي كحديث جبريل عليه السلام وكثير من الآيات القرآنية.

2– أنّ الاتفاق على اعتبار ما ورد في نص الوحي هو من الأصول، وأنّ ما دونه يعتبر من الفروع، يقلّص دائرة الاختلاف داخل الأمة.

3– ضرورة إعادة هيكلة المنظومة الفكرية والعقدية داخل المذاهب بما يتوافق مع حقيقة أصول الدين لا أصول الخلاف.

"فالصواب والصحيح فيما يبدو أنّ نسمي أصول الخلاف أو أصول المذهب لا أصول الدين ؛لأن أصول الدين من المفروض ألا تكون موضع خلاف بين المسلمين، فلا يفرق بين المسلم وغيره إلا اختلافه مع الملل الأخرى في أصول إيمانه وأحكام الشّريعة التي يلتزم بها " [2].

4– أنّ الضابط بأن الأصل هو: ما لا خلاف فيه بين المسلمين.

"وبهذا لا تصح إلا ما جاء صريحاً في القرآن الكريم والسنة النّبوية التي لا خلاف فيها وهو ما يكون كفيلا حقاً بإرجاع الأمة إلى أصولها وتدعى إلى ما كان يدعو إليه الرسول عليه السلام " [3].

5– أنّ القول بمعنى الإيمان لا يلزم منه تعطيل معنى الإسلام، فالأمر قائم على التلازم بينهما، "فإذا أُفرد كل من الإسلام والإيمان بالذكر فلا فرق بينهما، لأن كل واحد منهما في هذه الحالة يشمل

[1] مصطفى وينتن، محمد بابا عمي، مرجع سابق، ص 96.

[2] مصطفى وينتن، محمد بابا عمي، المرجع نفسه، ص98.

[3] مصطفى وينتن، محمد بابا عمي، أصول الإيمان، مرجع سابق، ص 99.

الدين كلّه ن وكل منهما يدل على اعتقاد القلب الجازم والأعمال الظاهرة من قول وغيره المبنية على ذلك الاعتقاد "[1].

6- أنّ التّراكمية الضخمة في المسائل الفرعية المختلف فيها تعبّر عن أصالة فكرية في موروثنا الفكري تجتمع بثقافة هذا العصر وتحدياته العقدية، شريطة ألا يأتي هذا الاجتماع بين الثقافتين تجاوراً ً بين متنافرين، بل يأتي تظافراً تُنسج فيه خيوط الموروث مع خيوط العصر نسْج اللّحمة والسّدى"[2].

ثانياً : الشروط المحقّقة لوحدة الأمة

يشترط الدرس العقدي في إطار الرؤية العقدية التّوحيدية الرامية إلى توحيد الأمة والدفع بها إلى انتهاج سلوك الوسطية والتّحمل الإيماني المُحقّق للشهود الحضاري جملة من الشّروط يمكن أن نوجزها فيما يلي:

1-شروط منهجية:

وهدفها ترشيد الفهم العقدي بما يمنح العقيدة الإسلامية فاعليتها، وهو واجب تقوم به النّخبة ممّن يتولون الدرس أو البحث العقدي انطلاقاً من شروط وأسس منهجية أهمها:

أ- الاعتماد على أحادية المصدر – القرآن والسنّة الثّابتة- في فهم معاني العقيدة الإسلامية مما يحقق الالتقاء على قدر مشترك من المعاني يقلص دائرة الاختلاف والفرقة.

ب- صناعة الوعي العقدي وربط درس العقيدة بواقع الأمة لأن المتلقي – المتعلم – للدرس العقدي إذا "جهل الواقع أو تجاهله لا يمكنه العمل على إصلاحه، بل ربما أصبح أداة طيّعة لمن يريد للأمة فرقتها "[3].

ت- نقد الموروث واقتباس ما ينفع المسلمين ويُوحدهم، ولا يكون هذا إلاّ في إطاره الأكاديمي – الجامعات ومراكز البحث – بالقدر الذي لا يتعارض مع الثّابت العقدي، "ولكي نخرج مما نحن فيه نحتاج إلى تغيير شامل يكون جوهره احترام عقل الإنسان ومحاولة اكتشاف العناصر المُبدعة واعطائها الفرصة لتجديد فكر وممارسات المجتمع "[4].

---

[1] حسن رمضان فحلة، الإيمان والإسلام، مرجع سابق، ص42.

[2] زكي نجيب محمود، المعقول واللامعقول في تراثنا الفكري، ط3، دار الشروق، بيروت، 1981م -1401هـ، ص04.

[3] مصطفى وينتن، محمد بابا عمي، مرجع سابق، ص 105.

[4] عبد الوهاب المسيري، حوارات الدكتور عبد الوهاب المسيري، الثقافة والمنهج، تحرير سوزان حرفي، ط1، دار الفكر، دمشق، 1430هـ-2009م، ص 63.

ث– الفصل الاعتباري بين الأصول والفروع العقدية انطلاقا من تحديد الفرق بين المصدر وقوة الإلزام.

2–شروط أخلاقية:

وهدفها توجيه السلوك بما يضمن احترام القيم الإنسانية وحدود الأدب في إطار التّفاعل الاجتماعي ومن أهمها:

أ– الصدق والالتزام بالأمانة العلمية نقلا أو ادّعاء، وفي هذا عصمة من الوقوع في الخطأ أو الافتراء على أصحاب المذاهب الأخرى مما ينتج عنه كثير من الأحقاد والضغائن.

ب– التأدّب مع العلماء قولا وفعلا باعتبارهم ورثة الأنبياء والآخذين بأيدي النّاس إلى طريق النّجاة.

ت– الالتزام بالقول في حدود العلم قال الله تعالى: ﴿ وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ ۚ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَٰئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا﴾[الإسراء: 36]

ث– تضمين الدرس العقدي مبدأ الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ففي ذلك تزكية للفرد والمجتمع قال تعالى: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ ﴾[آل عمران: 110]

ج– التّسامح مع الآخر –المخالف – في حدود ما يسمح به الدين والابتعاد عن الجدال المستفز الباعث على الفرقة، وفي هذا يقول عبد الوهاب المسيري –رحمه الله –"إنّ الإسلام من أكثر العقائد تسامحا وقبولا للآخر، مع أنّه يحدد الحدود ويضع الفواصل "[1]

الفرع الثاني: تدبير الاختلاف العقدي

لقد عرفت قضية الاختلاف العقدي مع الآخر اهتماما كبيرا عند علماء الكلام والعقائد من المسلمين –قديما وحديثا – وكان لها امتداد شاسع في التراث الفكري والعقدي للأمة الإسلامية، ويرجع السبب في ذلك إلى الانعكاسات الخطيرة لهذا الاختلاف والتي أدت إلى زعزعة بنيان الأمة ووحدتها بتفشي أسباب الفرقة بين أبناء المذاهب والفرق والطوائف الإسلامية تحت طائلة إلغاء الآخر

[1] عبد الوهاب المسيري ، حوارات الدكتور عبد الوهاب المسيري، الثقافة والمنهج ، مرجع سابق ،ص63.

ومزاعم الانتماء إلى الفرقة النّاجية التي تزعم كل" لنفسها الصواب والسداد وتخطئ غيرها وربما كفّرته وحاربته وعدته خصما حقيقيا أخطر عليها من اليهود والنصارى وتيارات الالحاد "[1].

علما أنّ الاختلاف سنة كونية قررتها كثير من آيات القرآن الكريم منها قوله تعالى: ﴿ وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً ۖ وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ﴾[هود: 118]

وانطلاقا من هذا النسق العلمي فإنّ الذي يعنينا في هذا المقام هو الوقوف ولو بإيجاز على مفهوم تدبير الاختلاف العقدي وأسسه المرجعية، بالإضافة إلى معرفة ضوابط هذا التدبير على نحو يمكّن الدرس العقدي من أن يعيد للعقيدة أساسها التّوحيدي، ومضمونها الإلهي " باعتبارها حلقة الوصل الرئيسة بين النظرية والتّطبيق، والإيمان والحياة، والمثل والواقع في النظرة الإسلامية الكلية إلى العالم "[2].

أولا: مفهوم تدبير الاختلاف العقدي وأسسه المرجعية

1- مفهوم تدبير الاختلاف العقدي:

للوقوف على مفهوم هذا المركب اللفظي وجب علينا تعريفه –الاكتفاء بالمعنى الاصطلاحي – بحسب ما تعنيه كل لفظة على النحو التالي:

أ- التّدبير: " التدبير يأخذ معنى النظر والتفكّر والتّقدير في عواقب الأمر المقدّر، ومآلاته وعوائقه، من أجل تحقيق مقاصده ومصالحه المحمودة واجتناب مفاسد وآفاته "[3].

ب- الاختلاف العقدي: هو " تباين أراء ومذاهب المدارس الإسلامية في أمر العقيدة حول الأصول ومايتعلق بالمسائل الاعتقادية والفروع بسبب الاختلاف في المصادر والمناهج الاستدلالية

[1] محمد الغزالي، سر تأخر العرب والمسلمين، مرجع سابق، ص 12.

[2] أنظر فاطمة أبوزيد، مقال بعنوان "نماذج من العلاقات الدولية في العالم الإسلامي، مجلة إسلامية المعرفة، السنة الثالثة والعشرون، العدد 91،شتاء 1439هـ -2018م، ص18.

[3] محمد الصّادقي العماري، أصول تدبير الاختلاف في القرآن الكريم،، ط1، المعهد العالمي للفكر الإسلامي،، المملكة الأردنية الهاشمية، 1440هـ -2023م، ص121.

والتّفاوت في المدارك العقلية "[1] إلى حد يرّى فيه أن معتقد المخالف من الفرق الأخرى باطل وغير صحيح بل قد يكفّر ويفسّق ويضلّل.

ومن هذا المنطلق يكون المقصود بتدبير الاختلاف العقدي أنّه: " مجموعة الأسس الشّرعية والقواعد المنهجية والضوابط العلمية والأخلاقيات العامة والآليات التي تعمل على إيجاد مشتركات ومحتكمات -الكتاب والسنّة – وتقاطعات تكون سببا للالتفاف حول أصول العقيدة الثابتة فتجعل الاختلاف إيجابيا غايته الائتلاف وتوحيد الأمة وعملا بمقتضى التّوحيد انطلاق من الدرس العقدي " [2].

2- الأسس المرجعية لتدبير الاختلاف في الدرس العقدي:

أ-الأساس القرآني: يعتبر القرآن الكريم ضابطا وأساسا مهما في تقرير أصول العقيدة، كما أنّه يشتمل على أسس منهجية تدير عملية الاختلاف العقدي، قوامها الحوار البنّاء واحترام الآخر، وتقرير منهجية عرض الحجج والبراهين الإقناعية، وتنويع أساليب الجدال، ومراعاة المقامات والأحوال وغيرها. وهذا كله لإصلاح ما فسد من تصورات وعقائد، " وقد نزل هذا القرآن في صورة عقيدة وشريعة معاً، لكن العقيدة القرآنية لم تنزل لكي تنضاف إلى العقائد التي سبقتها، بل لتبطلها وتحلّ محلها... لأن العقول السليمة تقضي بأنه لا يجوز إبطال العقيدة الصحيحة، والشريعة القويمة، لكن العقيدة متى فسدت... ، وجب العدول عنها إلى غيرها وتكون على العقيدة الجديدة أن تبين فساد العقيدة التي سبقتها "[3].

ومثال ما جاء به القرآن الكريم كأساس لتدبير الاختلاف قوله تعالى:﴿ وَلَا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ ﴾[الأنفال: 46]

﴿ ادْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ ۚ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ﴾[النحل: 125]

[1]أنظر محمد طباخ، العربي بن الشيخ، مقال بعنوان تدبير الاختلاف العقدي بين المسلمين في فكر الشيخ إبراهيم بيوض، مجلة آفاق علمية، المجلد 11، العدد03، جامعة باتنة، 2019م، ص 332.

[2]أنظر محمد طباخ، العربي بن الشيخ، المرجع السابق، ص 333.

[3]محمود يعقوبي، المنطق الفطري في القرآن الكريم، مرجع سابق، ص62.

ب–الأساس النبّوي:

حياة النبي صلى الله عليه وسلم حافلة –في إطار دعوته للإسلام – بتلك المواقف التي يمكن أن تؤسس نظرياً وعملياً لتدبير الخلاف مع الآخر، ويكفي في بيان ذلك قول الله تعالى: ﴿ لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا﴾[الأحزاب: 21]
ومن الأمثلة الدالة على منهجه في تدبير الاختلاف تقديمه للنصيحة في أدب جمّ، والبساطة، وعدم التّكلّف في المصطلحات، "وقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يدرك أن بقاء هذه الأمة رهين بتآلف القلوب التي التقت على الحب لله، وإن حتفها في تناحر قلوبها لذلك كان عليه الصلاة والسلام يحذّر من أن يذر الخلاف فرقة فيقول: (لا تختلفوا فتختلف قلوبكم) ".[1]

وبهذا نخلص إلى أن تدبير الاختلاف العقدي يستمد أساسه المتين من القرآن والسنة والذي يكّون عقيدة المسلم ويثبّتها وفق مسالك اليقين " فعقيدة المسلم لها فلسفة علمية، على أسس منطقية صحيحة وطرق يقينية ثابتة، ومظاهر سلوكية على وفق عقيدته وغايات وأغراض يشيدها من إسلامه، وإذا نظرنا إلى العقيدة التي نادى بها الإسلام من خلال نصوصه وجدناها ترتكز على أصول ستة هي الاعتقاد بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر وبالقدر خيره وشرّمن الله تعالى ".[2]

ثانيا: ضوابط تدبير الاختلاف في الدرس العقدي:

إنّ بيان ضوابط تدبير الاختلاف العقدي دليل على فقه الاختلاف وحصانة للأمة الإسلامية من الوقوع في كل ما ينافي مبدأ الوحدة والائتلاف، كما أنّها تعبر عن قراءة توحيدية واعية لأصول الإيمان، ومن أهم هذه الضوابط العلمية والأخلاقية ما يلي:

1– أن تدبير الاختلاف العقدي قائم عل العودة إلى الأصول المتفق عليها:

ونعني بذلك أنّه صورة من صور تجديد الدرس العقدي ليكون على ماكان عليه النبي صلى الله عليه وسلم وسلف هذه الأمة من الصحابة رضوان الله عليهم في فهم الدين والتزامهم بما جاء في الكتاب والسنّة دون غيرهما مما لا يحصل بشأنها خلاف بين المسلمين. ،قال الله تعالى: ﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ ۚ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا﴾[النساء: 82]

[1] طه جابر فياض العلواني، أدب الاختلاف في الإسلام، ط1، كتاب الأمة، قطر، جمادى الأولى 1405هـ.، ص 72.
[2] حسن حبّنكة الميداني، العفيدة الإسلامية وأسسها، ط14،دار القلم، دمشق،، 1430هـ–2009م، ص68.

2- الدّراية بأصول المخالف وتحرير محل الاختلاف:

ويكون ذلك انطلاقا من حصول سابق معرفة وتصور لمنهج المخالف وأصوله التي يعتمد عليها في تقرير المسائل الاعتقادية وبناء آرائه وأحكامه، والاصطلاحات الخاصة بالمذهب، وذلك من أجل فهم مراد الألفاظ وربطها بمعانيها تبعاً لقصده منها، "وهكذا ستتقلص دائرة الخلاف وتنحصر عن الاختلاف المعنوي والمضموني التي يهون فيها الأمر وتضيق معه شقة الافتراق ".[1]

3- عدم تكفير المخالف المتأوّل:

إنّ تمسّك المخالف المتأوّل في تبنيه لرأيه المخالف للآخرين بناء على فهمه للنصوص الشّرعية سواء تعلق الأمر بالأصول أو الفروع ليس فيه مسوّغ لتكفيره " وحكمه عند الجمهور أنّه معذور سليم من الكفر المُخرج من الملة ". [2]

4- التّحرّر من التّعصّب المذهبي والتزام الوسطية:

لا يمكن بأي حال من الأحوال تدبير الاختلاف العقدي إلا بالتّحرر من التّعصب المذهبي، فلا يرى مذهب أنّ رأيه هو الصواب وغيره على خطأ، فيعادي ويخاصم أو يبدّع ويضّلل ويكفّر مخالفه في المذهب، ويفرّق كلمة المسلمين، ولعل السبب الرئيس في ذلك هو اتّباع الهوى، والتقليد المذموم، والغلو في تعظيم أئمة المذاهب، وغيرها من الأمراض النفسية، وعلاج ذلك كله التزام الوسطية في القول ومفتاحها الاستجابة لله ورسوله، قال تعالى: ﴿ فَإِن لَّمْ يَسْتَجِيبُوا لَكَ فَاعْلَمْ أَنَّمَا يَتَّبِعُونَ أَهْوَاءَهُمْ ۚ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ اتَّبَعَ هَوَاهُ بِغَيْرِ هُدًى مِّنَ اللَّهِ ۚ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾ [القصص: 50]

5- الممارسة العقدية الفاعلة في واقع المسلمين:

ونقصد بها إبراز حقائق العقيدة كسلوك، وتجسيد معانيها النظرية في واقع المسلمين من قبيل صناعة القدوة في المجتمع، وذلك تجنّباً لكل انحراف فكري أو سلوكي يفضي إلى الاختلاف

[1] مصطفى وينتن، محمد بابا عمي ، مرجع سابق، 103

[2] محمد طباخ، العربي بن الشيخ، مرجع سابق، ص 336.

العقدي كالغلو والتطّرف، والإرهاب وغيرها، فقد" أصبح السؤال المركزي في الدرس العقدي مربوطا بما نقول في قضايا الخلاف أكثر من السؤال عن المطلوب منّا تجسيده في العقيدة."[1]

[1]عمار جيدل، مقال بعنوان: أصالة التجديد في درس العقيدة مجلة الاحياء، كلية العلوم الاسلامية، جامعة باتنة 1، ع5، 1423هـ-2002م.

المطلب الثالث: نماذج تطبيقية لأثر الدرس العقدي

تتعاظم أهمية الدرس العقدي يوما بعد يوم تعاظم أثره على السلوك الفردي والجماعي للمسلمين، مثلا تلك النماذج الحية التي تعكس مدى ارتباط الأجيال الجديدة بدينها، وأصولها الإيمانية الثابتة، وتمثلها في واقع الحياة علما وعملا، إضافة إلى وعيها بواقعها وحقيقة رسالتها العالمية.

الفرع الأول: القدس وحقيقة الصراع العقدي

يعتقد الكثير من الناس وحتى من المسلمين أنفسهم أن الحديث عن القدس شأن فلسطيني يتعلق بحركة استعمارية استيطانية وأن هذا الصراع " قد بدأ مع قيام الكيان الصهيوني في فلسطين سنة 1948 م، أو أن تاريخه لا يعدو وعد بلفور سنه 1917م، أو أن جذوره لا تتجاوز المؤتمر الصهيوني الأول الذي عقد في "بال" بسويسرا سنه 1897 م"[1].

وفي هذا الطرح محاولة للاستخفاف بعقول المسلمين، وإيهامهم بأنّ يُحل هذا الصراع باتفاقيات سلام أو وضع حدود بين الدولتين في إطار مشروعات التّسوية، وأن يتعايش الطرفان في سلام يحقق استقرار منطقة الشرق الأوسط كله والمتتبع لتاريخ القضية الفلسطينية يدرك لا محالة أن اختيار اليهود لأرض فلسطين وبيت المقدس لم يكن يوما ما محض مصادفة، أو مجرد إقطاع منحه الغرب الصليبي لهم، تعويضا لهم عمّا عانوه في الأرض من شتات واضطهاد حسب زعمهم

إن هذا الاختيار والاعتبار المكاني لهذه منبثق من عقيدة دينية يهودية منحرفة تستمد مصادرها الأساسية في التوراة والتلمود "وهما كتابان مليئان بالقسوة والهمجية، ويصفان الأنبياء بالفسق والدعارة وتبيح لليهود الغش والسرقة والغدر والمكر والقتل"[2]

ويمكن الإشارة إلى أن الصليبية عموما، والصليبية البروتستانية الأمريكية تعد المقاتل الأول والأشرس في سبيل تمكين اليهود من هذا الاغتصاب[3]، الصهيوني للقدس، وذلك مرده إلى البعد الديني والتراث التوراتي، وفي هذا يقول الشيخ محمد الغزالي –رحمه الله–: "إن اليهود في غاراتهم على فلسطين يكشفون عن وجههم الدّيني ويصرخون بأنهم يلبّون نداء التوراة والتلمود وأنهم يريدون

1محمد عمارة، في فقه الصراع على القدس وفلسطين، ط1، دار الشروق، مصر، 1426هـ _ 2005م، ص6.

2حسين صابر أحمد، مقال بعنوان: " العقيدة اليهودية، كلية الأدب، جامعة تكريت، العراق، ص 47.

3 أنظر محمد عمارة، في فقه الصراع عن القدس وفلسطين، المرجع السابق، ص 14.

تسلم ميراث أبيهم إبراهيم".[1]، مما يفسر أن عقيدتهم قائمة على مزاعم بمبررات دينية تُثبت يهودية القدس لذا فهم يحاربون من أجلها بكل الوسائل والجهود.

أولا: القدس بين المزاعم اليهودية والواجب الإسلامي :

وتتلخص أهم هذه المزاعم فيما يلي:

1– الادّعاء بأنهم أبناء الله وأحباؤه وشعب الله المختار، وفي هذا احتقار لمن دونهم من الأمم والشعوب ومسوّغ للتمادي في السيطرة على العالم، ويرد القرآن على هذه الدعوة الباطلة في قول الله تعالى:

﴿ وَقَالَتِ الْيَهُودُ وَالنَّصَارَىٰ نَحْنُ أَبْنَاءُ اللَّهِ وَأَحِبَّاؤُهُ ۚ قُلْ فَلِمَ يُعَذِّبُكُم بِذُنُوبِكُم ۖ بَلْ انتُم بَشَرٌ مِّمَّنْ خَلَقَ ۚ يَغْفِرُ لِمَن يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَاءُ ﴾[المائدة: 18]

2– زعمهم نقاء الجنس اليهودي وحرصهم –كذبا وزورا وبهتانا –الاتصال والانتساب إلى نسل بني إسرائيل القدماء لتكون لهم حجة ودليلا لتعزيز ادّعائهم الباطل بأنّ لهم حقا تاريخيا دينيا في أرض فلسطين إلا أن كل الشّواهد التاريخية توضح الاختلاط الجنسي بين اليهود منذ بداية تاريخهم وهو وارد في كتبهم المقدسة ذاتها. [2]

3– أن لهم حقا تاريخيا ودينيا في فلسطين، وذلك بحجةأن أجدادهم سكنوها فترة من الزمن بدء بإبراهيم وإسحاق ويعقوب، ومرورا بيوسف ويوشع بن نون عليهم الصلاة والسلام، وإقامة مملكتهم زمن داوود وسليمان عليهما الصلاة والسلام، وانتهاء بطرد آخر يهودي في بيت المقدس في عصر التشّرد والتشتّت اليهودي الذي بدأ عام 70 م، بالإضافةإلى ادعائهم أن ثمة ميثاقا إلهيا ربط اليهود بالأرض المقدسة في فلسطين، وأن هذا الميثاق الذي أعطاه الله لإبراهيم عليه السلام ميثاق سرمدي حتى قيام الساعة[3].

1محمد الغزالي، الحق المر، مرجع سابق، ص14.

2انظر: محمود بن عبد الرحمن قدح، مقال بعنوان موجز تاريخ اليهود والرد على بعض مزاعمهم الباطلة، مجلة الجامعة الإسلامية، المدينة المنورة، العدد 107، السنه 29، 1418- 1419, ص 273.

3 انظر: يوسف القرضاوي، القدس قضيه كل مسلم، ط1، مكتبه وهبة، القاهرة، 1421هـ _ 1419هـ، ص 272.

ويتأكد بطلان هذه الدعاوى من عدة وجوه أهمها [1]:

– أنّ من الثابت تاريخيا وجود القبائل العربية من الكنعانيين والفينيقيين في فلسطين قبل ظهور اليهود بألاف السنوات ولم ينقطع وجود العرب واستمرارهم في فلسطين إلى يومنا بخلاف اليهود.

– أنّ مدة بقاء بني اسرائيل في فلسطين لا تزيد عن ثلاثة قرون ونصف قرن وبعض المؤرخين يرى أنها تبلغ خمسة قرون قبل المدة التي مكثوها في فلسطين غير كافية في إثبات حقهم مقابل وجود العرب في فلسطين من قبلهم لمئات القرون .

– أما دعوة انتساب اليهود الى إبراهيم عليه الصلاة والسلام دينيا فيكذبها القرآن الكريم في قوله تعالى: " ﴿ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تُحَاجُّونَ فِي إِبْرَاهِيمَ وَمَا أُنزِلَتِ التَّوْرَاةُ وَالْإِنجِيلُ إِلَّا مِن بَعْدِهِ ۚ أَفَلَا تَعْقِلُونَهَا أَنتُمْ هَٰؤُلَاءِ حَاجَجْتُمْ فِيمَا لَكُم بِهِ عِلْمٌ فَلِمَ تُحَاجُّونَ فِيمَا لَيْسَ لَكُم بِهِ عِلْمٌ ۚ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾[آل عمران: 65-66]

ومما نخلص إليه هو أن دعوة يهودية القدس باسم الدين والتاريخ دعوة باطلة مبنية على عقيدة فاسدة تكذبها النصوص الشّرعية الثّابتة والحقائق التاريخية، وفساد هذه العقيدة يتمثل أساسا في العدوانية والهمجية المعلنة ضد الإسلام – دين التوحيد– والتي وجدت ضالتها وامتدادها في ظل الصهيونية وأطماعها وحماية الغرب الصليبي –الأمريكي – لها.

مما يفسر أن الحرب بين اسرائيل والمسلمين حول فلسطين هي حرب عقيدة ودين وأن القدس محور الصراع الأبدي بين اليهود الغاضبين والمسلمين الذين يدفعهم واجب الرسالة لتحريرها وإرجاعها إلى ما كانت عليه من أصل في عقيدتها التّوحيدية التي نزل بها كل الأنبياء والرسل .

وفي هذا الصدد يقول الأستاذ محمد عمارة –رحمه الله– متحدثا عن الضرورة الحتمية لهذا الصراع: " وإنما نواجه أبعادا أسطورية دينية لهذا المشروع الاستيطاني الاستعماري العنصري تجعل من استدعاء الأبعاد الدينية الإسلامية لموقفنا من هذه القضية ضرورة صراعية فضلا على أنها دين واعتقاد"[2].

1محمد بن عبد الرحمن قدح، مرجع سابق، ص 288.

2محمد عمارة، القدس بين اليهودية والإسلام، د.ط، نهضة مصر، القاهرة، نوفمبر1999م، ص43-44.

ونفهم من خلال عبارة " استدعاء الأبعاد الدّينية الإسلامية ووصفها بالضرورة الصراعية على حد تعبير محمد عمارة أن هناك:صراعا :

أ –بين ثابت عقدي إسلامي وبين متغير أسطوري يهودي (صهيوني).

ب– بين دور رسالي وانفتاح إسلامي عالمي، وبين انغلاق يهودي عنصري إقصائي.

ت– بين التوّحيد والسّماحة وبين التطرف وعبادة الطّاغوت

وعليه فإن المتأمل في الواقع اليوم يجد أن اليهود – اسرائيل– بالرغم من فساد عقيدتهم إلا أنهم في أقوى مراحل حياتهم وأذكاها، وقد استطاعوا أن يسخروا قوى هائلة في إقامة دولتهم اسرائيل ومن ثمة أُتيح لهم احتلال مدينة القدس، وهي كلهاإشارات تسبق عودة المسيح وفق قاعدة الصهيونية المسيحية التي تربط الدّين بالقومية، والتي تسخر الاعتقاد الديني المسيحي لتحقيق مكاسب يهودية وفي انتظار إشارة ثالثة وهي إعادة بناء هيكل سليمان المزعوم على أنقاض المسجد الأقصى. [1]لذا فإنّ من أولويات الدّرس العقدي هو استنهاض الهمم بما يكون كفيلا بتقوية إيمان المسلمين وترجمته الى سلوك عملي يعكس واجب المسلمين ووعيّهم بقضية القدس ومكانها في عقيدة التوحيد،وهو ما دفع بكثير من علماء الأمة إلى تشخيص حال المسلمين والوقوف على أدوائهم الفكرية والنفسية في محاولة منهم إلى بعث الوعي الديني في أوساط المسلمين والدعوة إلى اليقظة لإدراك ما يجري من حولهم إنقاذا لعقيدتهم،ومن أمثلة هؤلاء العلماء الشيخ محمد الغزالي حيث يقول: " إن العقيدة بشقّيها الإلهي والإنساني[2] تعرضت لهجوم شامل نظمه الاستعمار الغربي في خبث ودهاء والهدف من هذا الهجوم القضاء التام على الاسلام والخلاص منه في كل ميدان .

ونحن نهيب بالمسلمين أن يستيقظوا لإنقاذ أصل الإيمان وإنعاش القلوب الميتة بروح العقيدة الصحيحة كما جاءت في القرآن والسنة".[3]ولما كانت قضية فلسطين هي قضية جميع المسلمين وإرث الأجداد ومسؤولية الأحفاد وجب استرجاعها باسم العقيدة الاسلامية الصحيحة لا غير فهي

---

[1]انظر: يوسف القرضاوي، المرجع السابق، ص 73.

[2]الشق الالهي للعقيدة: قوامه حق الله تبارك وتعالى في ان يعرف على وجه صحيح، أما الشق الانساني للعقيدة: قوامه رفع مستوى الانسان حتى يؤدي وظيفته في الوجود على نحو يتفق مع شرف نسبه آدم وأصل خلقه.

3 محمد الغزالي، كيف نفهم الاسلام؟ مرجع سابق، ص 109-110.

راسخة في وجدان المسلمين باعتبارها أرض الأنبياء ومهبط الرسالات ومسرى الرسول صلى الله عليه وسلم والقبلة الأولى للمسلمين فيها المسجد الأقصى المبارك ثاني مسجد وضع في الأرض بعد المسجد الحرام ومسجدها هو ثالث المساجد التي يُشد إليها الرحال.[1]

قال تعالى: ﴿ سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِّنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا ۚ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾[الإسراء: 1]

ناهيك عن ما ذكره النبي صلى الله عليه وسلم من فضائلها ومكانتها في الدنيا والآخرة فهي أرض الرباط والمحشر.

ثانيا: طوفان الأقصى والتجليات السلوكية لأثر الإيمان

شهدت فلسطين يوم السابع من أكتوبر 2023 تحولا هاما في تاريخ مقاومة الاحتلال الصهيوني انطلق من قطاع غزة في سابقة هي الأولى من نوعها في ظل الصراع المحتدم حول القدس وإسلامية القضية الفلسطينية وذلك بأنه كسر حاجز الخوف، وحطّم أسطورة أن العدو الصهيوني قوة لا تقهر وأن أجهزته الاستخبارية تحيط بأدنى تحرك في فلسطين المغتصبة، وبطبيعة الحال هذا دين ومنهج كل معتد غاشم حتى يبث الوهن والتخاذل في قلوب المسلمين ويصرفهم عن واجب الجهاد والتضحية من أجل إعلاء كلمة التوّحيد كسلوك يفرضه الدين والعقيدة الإسلامية الصحيحة .وما طوفان الأقصى إلا مثال حي وترجمة عملية سلوكية لما تركه الدرس العقدي من أثر في نفوس الخيرّين من أبناء هذا الدين والبلد المبارك والأرض المقدسة، رجال صدقوا الله على ما عاهدوه عليه، فاستطاعوا بإذن ربهم وفي إطار اتخاذ الأسباب وحُسن التوّكل على الله أن يعدّوا كوكبة وجيلا من الشباب سلاحهم الأول الإيمان بالله وإعلاء راية التّوحيد "فعلى مرّ تاريخ الصراع بين الغرب الاستعماري وبين الشرق الإسلامي كانت القدس رمز الصراع وبوابة الانتصار، وفي كل مراحل هذا الصراع تشابكت العلاقات بين المصالح وبين العقائد والإيديولوجيات.

1عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: " لا تشد الرحال الى ثلاثة مساجد المسجد الحرام ومسجد الرسول صلى الله عليه وسلم ومسجد الاقصى" رواه البخاري

وإذا كان القرآن الكريم قد جعل الرباط بين المسجد الأقصى والمسجد الحرام آية من آيات الله فكان تحرير القدس وفلسطين دينا وجهادا يحقق المصالح لكل أصحاب الديانات والمقدسات [1]"، لأن القاسم المشترك بينهما هو التوحيد بالمعنى الإسلامي.

و"ما دامت الأمة قد حملت راية لا إله إلا الله وحملت معها مسؤولياتها فقد أصبح الجهاد من لوازم وجودها ذلك أن البشر لا يستقيمون كلهم على منهج الله ولا يرضون كلهم أن يكون الدين كله لله، ولا يدَعون المسلمين وشأنهم، يقيمون دينهم بمأمن العدوان".[2]قال تعالى: ﴿وَقَاتِلُوا الْمُشْرِكِينَ كَافَّةً كَمَا يُقَاتِلُونَكُمْ كَافَّةً وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ﴾ [التّوبة: 36]

إلا أنه وتأكيدا لما سبق من الكلام، وبما اقتضته السنن الكونية _ الاختلاف_ لاقت هذه الصورة الحيّة الممثلة في طوفان الأقصى كثيرا من ردود الأفعال السلبية –للأسف –و باسم العقيدة الإسلامية، في وقت كان لابد أن تتظافر فيه الجهود وتتّحد الرؤى ولو نسبيا، وتتّوحد الصفوف باتحاد القصد والغاية، فما كان منهم إلا أنّهم صاروا –بحسن نيّة أوسوئها – عونا لأعداء الإسلام والمسلمين، فأعظم الخطر أن يؤتي الإسلام من قبل أبنائه وبأيديهم وشتّان بين الفريقين، فريق يريد العزة لله، وفريق يرضى بالقعود استضعافا وذلة. وسنتبين حقيقة ذلك من خلال مواقف كل منهما:

1– مواقف المتخاذلين والقاعدين :

من أهم المواقف التي يمكن أن نسجلها في هذه القضية ما يلي :

أ– تثبيط العزائم والهمم بدعوى الإيمان بالقضاء والقدر واعتبار أن اغتصاب القدس وأرض فلسطين قضاء وقدر محتوم لا يمكننا إلا أن تسلّم به الأمة ما دامت موازين القوى غير متكافئة، مما يبعث اليأس في النفوس الضعيفة، قال تعالى: ﴿ وَلَا تَيْأَسُوا مِن رَّوْحِ اللَّهِ إِنَّهُ لَا يَيْأَسُ مِن رَّوْحِ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْكَافِرُونَ﴾ [يوسف: 87].

متناسين قوله تعالى: ﴿كَم مِّن فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً بِإِذْنِ اللَّهِ وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾ [البقرة: 249]

ب– الدعوة إلى موالاة اليهود والتعايش السلمي معهم تحت راية التطبيع، جاهلين بالتكييف الشرعي والأخلاقي للتطبيع ويُعبَر عن هذا التكيّيف الشّرعي والأخلاقي حسب ما ذكره الشيخ محمد الحسن

[1]محمد عمارة، القدس بين اليهودية والاسلام، د.ط، نهضة مصر، القاهرة، نوفمبر، 1999، ص 43. 44

[2]محمد قطب، واقعنا المعاصر، مرجع سابق،ص 37.

ولد الددو في قوله: " التكيّيف الشرعي والأخلاقي للتطبيع مع الكيان الصهيوني أنه غدر وخيانة، ومظاهرة للأعداء على أهل الإيمان، وخذلان للمستضعفين من المسلمين، وتنازلٌ عن مقدّسات المسلمين وأملاكهم، وهزيمة وفرار من الزّحف، ومشاركة في العدوان، والتطبيع الحاصل اليوم اندماج كامل في المشروع الصهيوني ومشاركة له في عمله وتنسيق أمني له."

ت– الحكم على عقائد المقاوميين وإظهار الشماتة عند استشهادهم أو اغتيالهم بقولهم " مستراح منه " وكأنهم يعلمون الغيب، متغافلين عن حقيقة الذين اغتالوهم، فهم على حد تعبير محمد الغزالي ليسوا لصوص مال بل لصوص عقائد.

ث– الدعوة الى الجهاد بالسنن وهي كلمة حق رفعت في غير ما يفترض أن ترفع فيه لا زمانا ولا مكانا ولا حالا، وكأنّ جهاد العدّو هو أقل شأنا من الجهاد بالسنن،ولكن "وفي ظل سنة الابتلاء والفتن والتمحيص يظهر المرجعون والمخذّلون والمرجئون، لأن الجهاد عباده شاقة، تكرهه جل البشر بطبعها وتميل الى غيره".[1]قال الله تعالى: ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهٌ لَّكُمْ ۖ وَعَسَىٰ أَن تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَعَسَىٰ أَن تُحِبُّوا شَيْئًا وَهُوَ شَرٌّ لَّكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾[البقرة: 216]

وبعيدا عن التأصيل والخوض في مناقشة قاعدة "لا يفتي قاعد لقائم" يبقى معناها سليما من الناحيةالتطبيقية، وفي هذا ما جعل إماما مثل عبد الله بن المبارك وهو في أرض الرباط يكتب الى صديقه الفضيل بن عياض الزاهد المتعبد وهو ينتقل بين الحرمين مكة والمدينة متعبدا:

يا عـــابد الحرمين لو أبصرتنا لعلمت أنك بالعبادة تلعب

من كان يخضب خدّه بدموعه فنحورنا بدمـــائنا تتخضّب

ويعلق الشيخ يوسف القرضاوي على ذلك: " والمصالح المتعلقة بمصالح الأمة وحاجاتها أولى بالرعاية من المصالح المتعلقة بالأفراد عند التعارض، وهنا نجد فقه الموازنات يلتقي بفقه الأولويات" [2].

1عبد الله غالب الحميري، مقال بعنوان: " جاهد بالسنن كلمه حق أريد بها باطل"، مركز الشهود الحضاري للدراسات الشرعية والمستقبلية، نوفمبر 2023، الموقع الالكترونيhttp: //shouhoud.com

2يوسف القرضاوي، أولويات الحركةالإسلامية في المرحلةالقادمة, د.ط، مكتبه الرحاب، الجزائر، د.ت، ، ص 36- 37.

2-مواقف المقاومة وأثر الإيمان عليها:

إن المجتمع الذي يهتم بتقوية الإيمان في نفوس الناشئة من أبنائه عبر غرس وترسيخ أصول العقيدة الإسلامية الأساسية هو مجتمع مؤهل لحمل أمانة الاسلام وجدير بأن ينتسب الى أمة التوحيد ولا أدّل على ذلك من المقاومةالفلسطينية وما ظهر في سلوك أفرادها من آثار إيمانية من أهمها:

أ- إحياء فريضه الجهاد :

لقد كان الايمان بالله أثر عظيم في نفوس المرابطين في بيت المقدس وأرض فلسطين إذ لم يتخلفوا يوما على نصرة الحق والدفاع في سبيل إعلاء كلمه التوحيد ومعركة طوفان الأقصى أعادتالحديث عن فريضة الجهاد في أوساط المسلمين من أبناء هذه الأمة، والتي غُيبّت لأسباب عديدةأهمها الانحطاط العقدي للأمة .وقد قال الله في فضل المجاهدين: ﴿إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَىٰ مِنَ الْمُومِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنَّ لَهُمُ الْجَنَّةَ ۚ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ ۖ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِي التَّوْرَاةِ وَالْإِنْجِيلِ وَالْقُرْآنِ ۚ وَمَنْ اَوْفَىٰ بِعَهْدِهِ مِنَ اللَّهِ ۚ فَاسْتَبْشِرُوا بِبَيْعِكُمُ الَّذِي بَايَعْتُمْ بِهِ ۚ وَذَٰلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾[التوبة: 111]

ويفهم من الآية الكريمةأنّ الجهاد في سبيل الله دليل على توغل الإيمان في القلوب، " وأن الايمان بالله ورسوله يتضمن توحيد الله وإخلاص العبادة له سبحانه، كما يتضمن أداء الفرائض ويدخل في ذلك الجهاد في سبيل الله لكونه من أعظم الشعائر الإسلامية ومن أهم الفرائض لما يترتب عليه من المصالح العظيمه والعواقب الحميدة".[1]

ب- الوعي بحقيقه الأرض المقدسة وأحقية الميراث العقدي:

من أهم ما يعدّل السلوك المسلم هو الوقوف على الحقائق الإيمانية، ومن ذلك أن المقاومة الفلسطينية لا ترى في جهادها ضد إسرائيل تحريرا لإقليم جغرافي فحسب بل ترى فيه تحريرا عقديا يعيد الأرض المقدّسة إلى ما كانت عليه رافعة رايةالتوحيد، كما يرون: أنّ " بني اسرائيل تنّكبوا عن طريق الحق

1ابن باز، مقال بعنوان: موقف اليهود من الإسلام وفضل الجهاد والمجاهدين، نشر في رسالة طبعها الحرس الوطني عام 1393 هـ، مجموع فتاوى ومقالات الشيخ ابن باز 2/ 430، الموقع الالكتروني Http: //baz.org

وحرّفوا كتبهم فلم تعُد الأرض المقدسة حقا لهم بل للمسلمين الذين استمروا في حمل راية الحق والايمان"[1].

ت– الارتباط بالله وتعلق القلوب بالجزاء الأخروي :

ويظهر هذا الأثر في سلوك المقاومين – من تكبير وشهادة وصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم، عند القيام بمباشرة العمليات الفدائية، إذ قلوبهم معلقة بالله وبالجزاء الأخروي المتمثل في نعيم الجنة، في كل حركاتهم وسكناتهم، وهو ما يبثُ الرعب في قلوب الأعداء، وهذا كله لأنهم يؤمنون بأن الشهادة في سبيل الله بداية للخلود في جنات النعيم، قال تعالى: وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ فَرِحِينَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَيَسْتَبْشِرُونَ بِالَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُوا بِهِمْ مِنْ خَلْفِهِمْ أَلَّا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ " [آل عمران 169 - 170]، وفي هذا ارتباط وثيق بأصل الإيمان – التوحيد– قال تعالى: ﴿ إِلَٰهُكُمْإِلَٰهٌ وَاحِدٌ ۚ فَالَّذِينَ لَا يُومِنُونَ بِالْاخِرَةِ قُلُوبُهُم مُّنكِرَةٌ وَهُم مُّسْتَكْبِرُونَ﴾ [النحل: 22]

ث– اتخاذ الأسباب وحسن التوكل على الله:

إن من تمام الإيمان بالله حسن التّوكل عليه سبحانه ولا يكون ذلك إلا باتخاذ الأسباب مع الإدراك أن الله لن يتخلى عنك قال تعالى: ﴿ وَمَا لَنَا أَلَّا نَتَوَكَّلَ عَلَى اللَّهِ وَقَدْ هَدَانَا سُبُلَنَا ۚ وَلَنَصْبِرَنَّ عَلَىٰ مَا آذَيْتُمُونَا ۚ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُتَوَكِّلُونَ﴾ [إبراهيم: 12]، ولقد ظهر هذا الأثر جليا في سلوك المقاومة، حيث أنها أعدت وفي كل الظروف الصعبة خططا واستراتيجيات قتالية مصحوبة بالحذر والحيطة في إطار اتخاذ الأسباب وحسن التوّكل على الله منها:

-تعبئة الصفوف للجهاد بتصحيح النوايا والدعوة إلى الإخلاص لله.

- حفر الأنفاق على مسافات طويله ومتفرقة لإيصال الأسلحة والمؤون، ومباغتة العدو.

[1]محسن صالح، حقائق وثوابت في القضيةالفلسطينية، رؤية اسلامية، مركز الزيتونة للدراسات والاستشارات، بيروت، تشرين الثاني، نوفمبر 2020، ربيع الاول 1442هـ، ص 15، الموقع الالكتروني Http: //www.alzaytouna.net.

-صنع أسلحة قدر المتاح تقليدية سهلة الحمل، سريعة الحركة كصواريخ القسام. - إنشاء قنوات إعلامية موازية للإعلام العسكري الإسرائيلي قصده نقل الحقيقة وفضح مزاعم العدو بالإضافة الى إرهابه وتخويفه.

ج- تجسيد معنى الأخوة الإيمانية ومفهوم التناصر

لقد كانت معركه طوفان الأقصى وجها من الوجوه التي كشفت عن أثر الدرس العقدي في غرسه للقيم الإيمانية على مستوى الأفراد والجماعات، وذلك من خلال ما رأيناه من سلاح بين مختلف الشرائح الفلسطينية وبين مختلف فصائله وتجاوز الأمر حدود الضّفةأو قطاع غزة أمام محنة كان من منحها التعاطف والتراحم والتناصر والإخاء "فأخوة الدين تفرض التّناصر بين المسلمين "[1] .

الفرع الثاني: دور الايمان في الدفاع عن الإسلام

يواجه المسلمون اليوم تحديات عقدية وفكرية، يمكن أن نلتمس آثارها الوخيمة في واقع الأمة الإسلامية على المستويين الداخلي والخارجي ولا سبيل لصد ومواجهة هذه التحديات إلا بالإيمان الصحيح والعقيدة الراسخة، ولا يأتي ذلك إلا بتوافر شروط تسبق هذه المواجهة باعتبار أن الايمان بالله لابد أن تكون وراءه نية باعثة أو اقتران بغاية كريمة، وإحاطة واعية بالواقع، ولكي يستطيع المسلم تحقيق هذا الدور والوظيفة وجب الاهتمام بالتعليم الديني والتربية الايمانية" فيكون الإيمان بالله هو الباعث على العمل، وتكون تقواه جلّ شأنه إحساسا دائما مصاحبا" [2].

أولا: التربية الإيمانية وعلاقتها بالدرس العقدي

1- مفهوم التربية الإيمانية:

إن مفهوم التربية الإيمانية الذي نعنيه في هذا البحث يختلف عن تلك التّعاريف التربوية المبنية على تصورات اجتماعية أو سياسية أو اقتصادية أو علمية... وإن كانت هناك بعض القواسم المشتركة، إلا أن مفهوم التربية عند المسلمين مقترن بما يقدمه الدرس العقدي في إطار تدريس التربية الإسلامية

[1] محمد الغزالي، خلق المسلم، مرجع سابق. ص 168.

[2] عبد الرحمن الخلاوي، أصول التربية الإسلامية واساليبها في البيت و المدرسة والمجتمع، ط2، دار الفكر، دمشق، 2004م، ص 23.

الفاعلة والقادرة على تغيير الواقع بتغيير الأنفس قال تعالى:﴿ إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا مَا بِأَنفُسِهِمْ ﴾ [الرعد: 11]

ومن جملة ما اخترناه من تعاريف للتربية الايمانية الإسلامية ما ذكره الأستاذ عبد الرحمن النحلاوي في كتابه " أصول التربية وأساليبها " "التربية الإسلامية هي التنظيم النفسي والاجتماعي الذي يؤدي إلى اعتناق الإسلام وتطبيقه كليا في حياة الفرد والجماعة".

وإلى ذات المعنى يشير الشيخ يوسف القرضاوي بقوله: " فليس الإيمان إذن بالتّمني ولا بالتّحلي، ولكن ما وقر في القلب وصدقه العمل[1]". وعليه فإن التربية الإيمانية هي تلك العملية التي تشمل الجوانب الفكرية والنفسية والسلوكية وتمد المسلم بما يشبع حاجته الفطرية برباط متين أساسه القرآن والسنة مما يتيح له اكتساب مناعة وتحصينا ضد كل انحراف عن الإسلام على المستويين الفردي والجماعي.

2- منهج التربية الإيمانية :

يسعى الدرس العقدي إلى ضرورة أن تؤسس التربية الإيمانية على منهج يتلاءم مع خصائص النفس البشرية " فرغم تعدد مناهج علم النفس المعاصرة يبدو أن الإنسان ما زال يشهد كثيرا من سلوكاته ودوافعها وأغراضها ومهما كانت ضرورة الدراسات العقلية والتجريبية في الميدان السيكولوجي يمكن القول أن ذلك لا يكفي وحده لكي يعرف الإنسان نفسه، إنما الذي نعتقده هو أنّه يجب قبل ذلك، ومع ذلك الاهتداء بنور الوحي، الوحي الذي يجب التعويل عليه، هو القرآن الكريم باعتباره مصدرا ربانيا تكفل الله سبحانه بحفظه... وكذلك السنة النبوية الشريفة من حيث هي شارحة ومفصله لما جاء في القرآن.[2]

ويمكننا أن نرصد بعض سمات المنهج القرآني التي تعزز التربية الإيمانية وفق منهج وسطي يجمع بين الجانب الروحي والمادي وتمنح المسلم الفعالية لمواجهة مختلف التحديات العقدية والفكرية ومنها :

1يوسف القرضاوي، المرجع السابق، ص73.

2حسين بوداود، النفس البشرية عند ابن قيم الجوزية، مرجع سابق، ص 7.

أ- أن الخطاب الديني خطاب عقلاني موافق لما يرتضيه العقل فلا تعارض بين النقل الصحيح والعقل الصريح، وهو ما جعل شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله يؤلف كتابا اسماه (درء تعارض العقل والنقل)

ب-أن الخطاب القرآني لم يستعمل من الصور المنطقية إلا الفطرية منها ولم يستعمل قط الصور الملتوية منها... كالأقيسة الناقصة[1]

ت- اعتماد القرآن على طرق الجدال أكثر من غيرها ومنها طريقة (المنع) التي إستعملها القرآن لردّ جميع الاعتقادات الفاسدة، وطريقة النقض لإبطال التقليد ومجالات العادات السائدة، وطريقة (المعارضة) التي تتمثل في مقارعة الحجة بأحسن منها وغيرها من الطرق التي تثبّت ايمان المسلم.[2].

ث- تربية الايمان في النفوس عن طريق البرهان والنظر في آثار قدرة الله تحقيقا للعبودية الخالصة لله عز وجل، وفي هذا يقول الدكتور عبد الوهاب المسيري -رحمه الله-: " في تصوريأنّ المدخل الطبيعي للإنسان في عصر المادية والعلمانية هو محاولة الوصول إلى الله من خلال الإنسان ومن خلال رؤية تركيبة لهذا العالم"[3] وقد جاء في الذكر الحكيم ﴿ سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾[فصلت: 53]

ج- التركيز على العامل الانفعالي العاطفي بإيقاظ الانفعالات الربانية كالخشوع والخوف والرهبة، قصد غرس النوازع والروادع الثابتة في النفوس[4]

وإجمالا يمكن القول أن التربية الايمانية هي الدّعامة الأساسية للدرس العقدي في بناء العقيدة وتوجيه سلوك المسلمين إلى ما يقيم الدّين فيحقق غايته، " فما الدّين إلا شعور بوجود الله، واعتراف بحقه في حكم عباده، ووضع المبادئ التي ينطلقون منها، والحدود التي ينتهون اليها".[5]

1 محمود يعقوبي، المنطق الفطري في القرآن الكريم، مرجع سابق، ص 3.

2 أنظر: محمد يعقوبي، المرجع نفسه، ص 5.

[3]عبد الوهاب المسيري، حوارات الثقافافة والمنهج، مرجع سابق، ص88.

4انظر عبد الرحمن النحلاوي، التربية الإسلامية والمشكلات المعاصرة، مرجع سابق، ص 157.

5محمد الغزالي، عقيدة المسلم، مرجع سابق، ص 125.

ثانيا: الإيمان ومواجهة التحديات العقدية

كما سبق وأن أشرنا فإن هناك تحديات عقدية وفكرية تواجه الدرس العقدي لا يمكن التصدي لها الا بسلاح الإيمان، ولما كانت هذه التّحديات على المستويين الداخلي والخارجي ارتأينا أن نمثّل لكل منها بمثال واحد قصد إدراك حجم الأخطار وبيان أهمية الإيمان في الدفاع عن الإسلام.

1- دور الايمان في مواجهة الإلحاد المعاصر :

يطمح الدرس العقدي أن يكون في مستوى التطلعات لحل الإشكالات ومواكبة النوازل العقدية، ومسايرة واقع المسلمين وتحصينهم من كل ما يشوب عقيدتهم ويطمس فطرتهم السوية، وذلك بما يمتلكه من أصول منهجية ومؤسسات تعليمية تربوية، ومن أهم هذه التحديات الخارجية التي تهدد المسلمين عامة وشبابهم خاصة ظاهرة الإلحاد الفاجر التي تتعدد مظاهرها بسبب سرعة توغلها في المجتمعات في ظل الانفتاح على الآخر (العولمة)وهي ظاهرة ليست بجديدة في أصل وجودها، بل متجددة عن الأصل الذي هو الميل والعدول عن قصد في عبادة الخالق، أي تشمل كل من لم يؤمن بالله تعالى.

فهو يرجع – مفهوم الإلحاد المعاصر- إلى كل فكر يتعلق بإنكار وجود خالق هذا الكون سبحانه وتعالى سواء أكان عند المتقدمين من الدهرية كما وصفهم القرآن الكريم في قوله تعالى: " ﴿ وَقَالُوا مَا هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَا إِلَّا الدَّهْرُ ۚ وَمَا لَهُم بِذَٰلِكَ مِنْ عِلْمٍ ۖ إِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ﴾ [الجاثية: 24]

ويقول محمد عمارة في هذا التصور: " وهؤلاء الدّهرية المنكرون للألوهية هم أقرب الكافرين من الملاحدة المعاصرين كما يخبرنا القرآن الكريم عما سيدعيه بعض الدّهريين بعد أربعة عشر قرنا عن خلق الكون والإنسان من عدم، فيقول الحق عز وجل: ﴿ أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمُ الْخَالِقُونَ﴾ [الطور: 35] أو عند من جاء بعدهم من الشيوعيون والماركسيين الذين اغتروا بما لديهم من ظاهر العلم والمدنية المادية الحديثة، فراحوا يجترئون على الدين ...، معلنين أنه لا اله والحياة مادة "[1].

[1] عمرو شريف ، وهم الإلحاد ، تقديم محمد عمارة ، مجلة الأزهر، د.ط ،مصر ،1435هـ-2013م ،ص17.

والنماذج كثيرة على تبني المواقف الإلحادية التي تعد مروقا من الدين وإنكارا لمعلوم من الدين بالضرورة، فنجد مثلا: حسن حنفي في مشروعه الكبير الذي أطلق عليه(من العقيدة إلى الثورة) يقر مبدأ عدم جدوى طرح الإيمان وأنه لابد من تجاوز الإيمان التقليدي إلى الإيمان الثوري " وهو يقصد به، تجاوز البحث عن الله، والتعرف عليه إلى البحث عن الإنسان وتلبية حاجاته النفسية والاجتماعية، فهو يعتبر الله والجنة، والنار والاخرة والحساب، والعقاب والصراط، والميزان والحوض كلها ألفاظ يجب تجاوزها... فألفاظ الجن والملائكة والشياطين، والخلق والبعث والقيامة كلها ألفاظ تجاوز الحسّ والمشاهدة، ولا يمكن استعمالها لأنها لا تشير الى واقع ولا يقبلها كل الناس ولا تؤدي دورا للإيصال "[1].

لذا فإن الدرس العقدي يدرك أنّه لا مناص من أن يعيد المسلم ترتيب وتوجيه رؤيته التوحيدية لكل من عالم الشهادة وعالم الغيب بناء على إيمان صحيح يواكب حجم التطورات العلمية وخاصة العلوم التجريبية وفي مقدمتها الفيزياء الحديثة والبيولوجيا كي لا يترك المجال فسيحا لدعاة الإلحاد ليضربوا حقائق الدين ويشكك المؤمنين في إيمانهم عن طريق آثارةالشبهات المعاصرة فديننا كفيل بالرد على أمثال هؤلاء لأنه دين شامل في نظرته للإنسان والكون والحياة كاشف لكل التناقضات، وعلى هذا الأساس وفي إطار بيان دور الإيمان في الدفاع عن الإسلام سنكتفي بمثال واحد نوضح فيه ونكشف من خلاله تناقضات الفكر الإلحادي والرد عليه باسم الإيمان نفسه في مسألة "التوازن النفسي" وعلاقته بالإيمان بالله على النحو التالي:

إنّ الإيمان بالله يوفر الحجة المنطقية التي تقوم على أساس عقل متين لا يتزعزع إلا لدى العقل المتزعزع الفاسد وهو مبدأ عدم التناقض... وليس شيء أشد على الإنسان وقعا من نسبته الى التناقض، لأن في ذلك نسبته إلى فساد العقل، وهو أمر ينفر منه كنفورهم من الخروج من الدائرة البشرية. [2]

وهو الأمر الذي وقع فيه الملحدون –التناقض – في مسألة التوازن النّفسي فالملحد "إنسان " وشأنه كشأن غيره يسعى إلى تحقيق توازن يضمن له استقرارا نفسيا في ظل ما يعترض حياته من منغصات وقلاقل فتعكر صفوها "ومن هذا المنظور فإن الإنسان لو كان مترددا في قضية وجود الله

[1] انظر: نور الدين بولحية، ظاهرة الإلحاد المعاصر بين المسلمين وأسبابها العلمية والفلسفية، مجلة الإحياء، جامعة باتنة، المجلد 18، العدد 21، جوان 2018، ص 139.

[2] أنظر: أحمد يعقوبي، مرجع سابق، ص4.

تعالى فلينظر في قرارة نفسه بنفسه وليجيب على هذا السؤال: هل الإيمان بوجود الله تعالى يشعره بالطمأنينة والسكينة ويعمق في دواخل وجدانه حالة التوازن النفسي أم أن الإلحاد هو يتكفل بهذه المهمه وليس الايمان؟"[1].

وعليه فإن الملحد بإنكاره أنّ للإيمان يجلب الطمأنينة والسكينة والتوازن النفسي يقع في تناقض صريح مع فكرتهم في أن الإنسان اخترع مبدأ الإيمان طلبا للطمأنينة والسكينة وهربا من الخوف والجهل، لأنّهم يدركون عجزهم عن تحقيق ذلك وأنهم بحاجة إلى قوة خارجية – إله- وإن لم يصرّحوا بها –كبرا واستعلاء- وواقعهم يثبت أنّهم يعانون أمراضا نفسية لم يجدوا لها حلا في اعتقادهم إلا بالانتحار.

ونخلص إلى أن دور الإيمان الملتزم حدود المنهج القرآني يشكل أساسا ومنطلقا عقديا يكشف جميع التناقضات التي وقع فيها الملحدون نتيجة غرورهم وتعاليهم ورفضهم لكل القيود الحدود الدينية والقيم الأخلاقية والإنسانية باسم التحرر الفكري. كما يثبت أن الإلحاد ما هو إلا حالة مرضية شاذة، ومع ذلك لابد ألا يتهاون المسلمون في رصد أشكاله وصوره المتعددة والمتسارعة بفعل تداعيات العولمة والغزو الثقافي والفكري. ونقترح لمواجهة الإلحاد المعاصر أن يشكل المسلمون تيارا إسلاميا موازيا للتيار الإلحادي على المستوى الداخلي والخارجي يواكب مجريات الواقع وأن يعمقوا بحوثهم بما يتجاوز البحث والدرس العقدي التقليدي، فكلما ارتبط المسلمون بدينهم وفقهوا رسالتهم في الوجود استطاعوا رد كيد المعتدين. " فإن المسافة لا تزال بعيدة بين المسلمين ودينهم علميا وعمليا وفي مراحل هذا البعد تجد المذاهب المناوئة والأعداء المتربصين ألف ثغرة للنفاذ إلى قلب العالم الإسلامي."[2]

2- الإيمان في مواجهة الفكر التكفيري:

إنّ بلاء هذه الأمة جاء من داخلها قبل أن يجيئها من الخارج، ومن أعظم هذه الابتلاءات والتّحديات التي تواجه الأمة وتضعف كيانها وتشتت وحدتها وصفها في ظل غياب المناعة الإيمانية الحقة " ظاهرة التكفير عند الكثير من المسلمين بحيث وصل الأمر إلى حد الظاهرة المخيفة بأن

[1] أحمد التميمي، محمد المسلمي، دراسة مناجزة الإلحاد، ط1، بيت الغشام، عمان، مسقط، 2018، ص، 597.

[2] محمد الغزالي، الاسلام في وجه الزحف الاحمر، ط1، دار الاسلام، الجزائر، د.ت، ص 193.

المسلم الذي يحمل الفكر التكفيري تحول إلى إنسان صدامي وعدواني تجاه الآخر ممن لا يتفق معه في الرأي او لا يلتقي معه في المذهب او الدين.[1]"

ولمواجهة هذه الظاهرة الخطيرة والفتاكة وبيان دور الإيمان والعقيدة في القضاء عليها أو التقليل من انتشارها، وجب الوقوف على بعض أسبابها :

أ– أسبابها :

من أهم الأسباب التي يمكن تسجيلها حسب الأستاذ محمد شقير[2] بعد عملية الاستقصاء التي قام بها واستعراض أقوال العلماء في المسألة ونقدها ما يلي :

- وجود تراث تكفيري كبير تكون على مدى عقود وقرون من الزمان نتيجة تداخل عوامل وأسباب عديدة، وتأثر الجانب الديني ببعض الظروف والعوامل السياسية، مما أدى إلى تشكل كم من ذلك التراث الذي يكفر العديد من المسلمين .
- تقديم التراث التكفيري والإعلاء من شأنه على حساب الكتاب والسنة، وإخراج السنة من الرتبة التي جعلها الله تعالى فيها تغريبا لأقوال ائمة المذاهب ورجالها.
- الإسقاطات المعرفية على القرآن الكريم والسنة بنية تبريراللمواقف والقناعات على ضوء التراث التكفيري لا بنية فهم النص الديني.

ومما يلاحظ على الأستاذ محمد شقير أنه حصر وركّز أسباب الفكر التكفيري بالأساس في التراث التكفيري وتراكميته، وهذا لا يعني أنه لا توجد أسباب أخرى، ولعل حجته في ذلك أن ما ذكره العلماء من أسباب هي في غالبها أسباب محدودة أو تؤثر في دوائر فردية ضيقة لا تشكل تلك الخطورة التي يشكلها التراث في إطار الفكر الجمعوي أو المذهبي، ويبقى القاسم المشترك الذي تلتقي فيه كل الأسباب التي ذكرناها أو التي لم نذكرها، هو الجهل والتعصب واتباع الهوى والتقليد الأعمى والكبر والاستعلاء.

1حسين الخشن، الاسلام والعنف " قراءة في ظاهرة التفكير"، ط1، المركز الثقافي العربي، المغرب، 2006، ص 9.

2انظر محمد شقير، ظاهرة التكفير، عوامل النشأة وطرق العلاج، مجلة المنهاج، ع 56، السنة 14، شتاء 1431هـ / 2010م، الموقع الالكتروني:https://www.iicss.iq

ب- **سبل المواجهة :**

هناك عدة سبل لمواجهة هذه الظاهرة في ضوء الإيمان الصحيح والتربية الإسلامية التي تستمد أصولها من القرآن والسنة وهو ما يغيره الدرس العقدي ضمانة حقيقة لوحدة الأمة ومن أهم هذه السبل الإيمانية ما يلي :

– عدم مجاوزة الحدود الشرعية في إصدار الأحكام على من زاغ :

بحيث لا توزن القضايا بموازين العواطف الهائجة فتصدر الأحكام جزافا بتكفير بعض الأمة وتسلخها عن الإسلام وجعلها في عداد المرتدين عنه أو في حكم المشركين[1]" وفي هذا حفظ للنفس التي حرم الله قتلها بالحق، فالإيمان بالله يتنافى مع هذا الفعل لأنه ليس من الإسلام في شيء قال تعالى: " ومن يتبع غير الإسلام دينا فلن يقبل منه "وقوله تعالى: تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ فَلَا تَعْتَدُوهَا وَمَنْ يَتَعَدَّ حُدُودَ اللَّهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾ [البقرة: 229]

– وجوب الرجوع إلى القرآن والسنة والاحتكام إليهما:

فالاحتكام إلى الوحي الذي يملك العلاج الوحيد لما تعانيه البشرية ليس نافلة ولا تطوعا، إنما هو الإيمان إنما هو الإيمان بالمعنى الحقيقي.قال تعالى: ﴿ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ [النساء: 65]

– ضرورة ربط العقيدة بالأخلاق والقيم النبيلة:

تعتبر الأخلاق سياجا منبعا وروحا لهذا الدين، وجوهره خصوصا الأخلاق التي عدّ النبي صلى الله عليه وسلم تركها نفاقا، كما أنها سبب يستوجب المدح والثناء، فقد مدح الله نبيه صلى الله عليه وسلم فقال: ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾[القلم: 4]

وعليه لما ابتليت الأمة " بالتحامل على التوجه التربوي الذي كان بالتزكية والأخلاق، أصيبت الأخلاق بالضمور، أمام الحدة التي عرفتها المناظرات الفقهية والكلامية تحولت الأخلاق إلى ربيب يحظى بجزء من العنايه وليست روحا لعلوم الشرع كما نشأت... ومع انزواء الأخلاق وفساد الطبع عند بعض

1أحمد بن حمد الخليلي، أمه الإسلام أين؟ مسيرا ومصيرا،ص73، منشورات الموقع الإلكتروني : https://baseera.info

العلماء، ومتابعة العامة ترعرع التشدد... حتى غدا التشدد دينا واتسعت مساحته في الفكر الإسلامي ودمغت بصمته في واقع المسلمين المتردي فزادته تأزما[1]".

وقد أكد هذه الحقيقة الشيخ محمد الغزالي بقوله: " إن أمتنا شغلت نفسها بفروع الفقه وصوره الجزئية أكثر مما شغلت نفسها بالتربية الأخلاقية، وهذا خلل هزّ بنائها الروحي والاجتماعي، وأوجد أجيالا من المتطعين لا يحسنون معاشا ولا معادا" [2].

– تجريم الاعتداء الطائفي ومحاصرة الفكر الغالي:[3]

ولا يكون هذا التجريم بمجرد شعارات أو استنكار على مستويات فردية محصورة زمانا ومكانا، بل يكون بإعداد خطط عملية تحارب الغلو الفكري تشرف عليها مؤسسات متخصصة (تعليمية، دعوية، إعلامية...) هدفها الأول تجفيف منابعه المبثوثة في الفكر المذهبي والطائفي ولا يكون ذلك إلا بعمل مشترك فيه تساهم فيه الأمة باسم الإيمان بالله تعالى، الذي يضمن وحده الأمة ويمنعها من التفرق في دينها والتنازع في أمرها ، قال تعالى: ﴿ إِنَّمَا الْمُومِنُونَ إِخْوَةٌ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ [الحجرات: 10].

– مراعاة أسباب الاختلاف وحسن الظن بالمخالف:

إنّ الاختلاف في الأمّة وارد بسبب تباين الناس في عقولهم وأفهامهم ومداركهم وليس في نفيه أو إقصائه المخالف ما يخدم هذا الدين، لذا وجب تحري الحق والرغبة في إصابة قصد المخالف من كل الوجوه لكيلا نخرجه من دائرة الإيمان أو الحكم عليه بالكفر لأنه يفترض أن نقدم حسن الظن، وهو باب من أبواب تعكس روح وسماحه الإسلام على الأخوة الإيمانية .ويشير الأستاذ محمد عماره رحمه الله الى هذا فيقول :

1محمد قاسم حديون، المرجعيات في المنظومة الفكرية واالتراثية للمذاهب الإسلامية، مجلة الدراسات الإسلامية، قسم العلوم الإسلامية، جامعة الأغواط، العدد 7، جوان 2006، ص 412.

[2]محمد الغزالي، سر تأخر العرب والمسلمين، مرجع سابق، ص 107.

3انظر، محمد قاسم حدبون، المرجع نفسه، ص 480.

"أن سماحة الإسلام في حرية الاعتقاد يكفي فيها قول الإمام مالك رضي الله عنه : أن من صدر عنه ما يحتمل الكفر من تسعة وتسعين وجها، ويحتمل الإيمان من وجه حمل أمره على الإيمان."[1] وفي الأخير نقول إن مواجهة ظاهرة التكفير تبقى رهينة القصد والفعل ولا تؤتي ثمارها إلا في ضوء تعلم الإيمان والارتباط بأصول العقيدة الإسلامية بما يوافق الكتابة والسنة.

والخلاصة التي ننتهي إليها في ختام هذا المبحث هو أنه لابد للمسلمين –أفرادا وجماعة –أن يكونوا على درجة عالية من الوعي الفكري لإدراك بما يحيط بهم من تحدّيّات داخلية وخارجية تهدد بنيانهم العقدي، أو تلك النوازل العقدية التي تجعلهم في حيرة من أمرهم، لاسيما وأن العالم يشهد حركية علمية غير مسبوقة وطوفانا ثقافيا جارفاً ، بسبب تقصيرهم في الأخذ بأسباب الحياة كطلب العلم والطّموح إلى التّغيير النفسي الإيجابي الذي تفرضه السنن الكونية باسم التّوحيد الخالص وفاعلية العقيدة الإسلامية.

فمتى أدرك الدرس العقدي حجم هذه المسؤولية وطوّر من أساليبه ومناهجه لتواكب المستجدات قامت العقيدة وانتعش الإيمان في النفوس بقي الأمل في الإصلاح والتغيير قائما في ضمير الأمة.

[1] محمد عماره، هذا هو الاسلام، السماحةالإسلامية(2)، حقيقه الجهاد... القتال... والارهاب، ط1، مكتبه الشروق الدولية، 1426 هـ/ ديسمبر 2005، ص 25.

خاتمة

وفي ختام هذا العمل المتواضع وبعد التّعمّق في موضوع الدرس العقدي وأثره على السلوك خلُصت إلى جملة من النتائج أهمها:

– أن الدّرس العقدي مفهوم شامل ومتكامل يهدف إلى تعليم الناس العقيدة الإسلامية الصحيحة وفق أطر منهجية ووآليات معرفية تخاطب الفكر وتحرك الوجدان، اقتداء بمنهج النبي صلى الله عليه وسلم، وذلك ببيان أصولها وأركانها.

– أن للدرس العقدي أثر إيجابي مباشر على سلوك الفرد والجماعة في إطار تحقيق التواصل بين أطراف العملية التعليمية المتضمنة تدريس العقيدة الإسلامية .

–لكي يحقق الدرس العقدي أثره على سلوك المسلم وتظهر فاعليته في الحياة لا بد من الرجوع إلى منهج الرسول صلى الله عليه وسلم وطريقته في تعليم الناس العقيدة الإسلامية الصحيحة .

–أن النبي صلى الله عليه وسلم قد ثبّت أصول العقائد منهجا وتطبيقا ولم يترك شيئا من أسس الاعتقاد إلا وأجلى بيانها وتأصيلها.

– التلازم والترابط بين الإيمان والسلوك فالسّلوك مظهر عملي تصدّيقي لما في قلب العبد من إيمان.

–تظهر أهمية الدرس العقدي من خلال مساهمته الفاعلة في توحيد الأمة ومواجهة التحديات العقدية المعاصرة وفي مقدمتها الإلحاد المعاصر.

التوصيات:

وبعد الوقوف على النتائج المستخلصة لا يسعني إلا أن أقدّم بعض التوصيات كالآتي:

– يجب على المهتمين بالدرس العقدي العمل على سد الفجوة بين التوحيد والسلوك والربط بين البعد السلوكي والمعرفي في درس التوحيد،وذلك بإنشاء مراكز تكوين متخصصة في الدرس العقدي.

– العمل على تحقيق التواصل الإيجابي بين أطراف العملية التعليمية في الدرس العقدي.

– ضرورة العمل على تطوير الدرس العقدي وتجديد مناهجه وتحديث الخطاب العقدي على جميع المستويات التعليمية استجابة لمختلف التحديات والنوازل العقدية، بما يتوافق مع تحقيق المقاصد الأساسية للعقيدة الإسلامية.

فهرس المصادر والمراجع

المصادر والمراجع:

أولا: القرآن الكريم

ثانيا: مصادر الحديث

- أحمد بن حنبل، مسند الإمام أحمد ، تحقيق : شعيب الأرنؤوط ، مؤسسة الرسالة،ط1 ،1421هـ -2001م.
- أبو الحسين مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري ،صحيح مسلم ، ط1 ،تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، دار الكتب العلمية، القاهرة ،1412 هـ - 1991م.
- أبو عبد الله، محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة الجعفي البخاري ، تحقيق: جماعة من العلماء بدون طبعة ، المطبعة الكبرى الأميرية، ببولاق مصر، 1311هـ.
- محمد بن عيسى الترمذي ، سنن الترمذي ، تحقيق أحمد محمد شاكر ، شركة مصطفى البابي الحلبي ،مصر ،ط2 ،1395هـ-19755م.

ثالثا: المؤلفات

- أبوجعفر محمد بن جرير الطبري ،،تفسير الطبري جامع البيان عن تأويل آي القرآن ،تحقيق عبد الله بن عبد الله المحسن التركي ، مركز البحوث والدراسات العربية والإسلامية ، ج3، ط1 ،دار هجر ،القاهرة ،1422هـ -2001م.
- أبو القاسم الحسين محمد الراغب الأصفهاني ، الذريعة إلى مكارم الشريعة ، تحقيق أبو اليزيد أبو زيد ،د.ط ،دار السلام للطباعة والنشر ، القاهرة ،1428هـ-2007م.
- إبراهيم بن موسى بن محمد اللخمي الغرناطي الشهير بالشاطبي، الموافقات، تحقيق أبو عبيدة مشهور بن حسن آل سلمان، ط1 ج2، دار ابن عفان،، 1417هـ-1997.
- أبو محمد عبد الله بن محمد بن جفر بن حيان ،"طبقات المحدثين بأصبهان ،دراسة وتحقيق عبد
- أبو عبد الله محمد بن أبي بكر أيوب ابن قيم الجوزية، كتاب الروح، تحقيق محمد أحمل أيوب، المجلد 1، د.ط، دار عالم الفوائد، د.ت.
- أبوبكر جابر الجزائري، عقيدة المؤمن، د.ط، مكتبة العلوم والحكم، السعودية، بدون تاريخ .

- أحمد التميمي، محمد المسلمي، دراسة مناجزة الإلحاد، ط1، بيت الغشام، عمان، مسقط، 2018.
- أسير فائق الحسني الالوسي، محاضرات المدخل لدراسة الفكر الإسلامي-المرحلة الأولى -، جامعه الأنبار، كلية العلوم الإسلامية، رمادي، قسم العقيدة والدعوة والفكر، بدون تاريخ.
- آمنة محمد نصير، مباحث في علوم العقيدة، د.ط، مكتبة الكليات الأزهرية، مصر، 1404هـ،
- بوداود حسين: النفس البشرية عند ابن قيّم الجوزية، ط1، دار وحي القلم، دمشق، 1434-2014،
- تركي رابح، الشيخ عبد الحميد بن باديس: رائد الإصلاح والتربية في الجزائر، ط3،الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر،1981.
- تقي الدين بن العباس أحمد بن عبد الحليم بن تيمية ، مجموع فتاوى شيخ الإسلام أحمد بن تيمية، جمع وترتيب عبد الرحمان بن محمد بن قاسم، المجلد19، د.ط، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، المدينة المنورة، عام 1425هـ-2004م،
- تقي الدين بن العباس أحمد بن عبد الحليم بن تيمية ، دقائق التفسير، تحقيق: د. محمد السيد الجليند،، ط2، مؤسسة علوم القرآن – دمشق،1404هـ، ج5.
- الجبرين عبد الله بن عبد العزيز، مختصر شرح تسهيل العقيدة الإسلامية، ط1،دار الوطن للنشر، المملكة العربية السعودية، 2017.
- جلال الدين أبي الفضل عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي، البحر الذي زخر في شرح ألفية الأثر، تحقيق ودراسة أبي أنس أنيس بن احمد بن طاهر الأندونوسي، الجزء 1،ط1، مكتبة الغرباء الأثرية، المملكة العربية السعودية، 1420هـ-1999م.
- حسن حبّنكة الميداني ، الأخلاق الإسلامية وأسسها، ط4، دار القلم ن دمشق،سوريا، 1417هـ، -1996م
- حسن أيوب، تبسيط العقائد الإسلامية، ط2، دار السلام، القاهرة، 2004،ص17.
- حسن حبّنكة الميداني، العقيدة الإسلامية وأسسها، ط14،دار القلم، دمشق،، 1430هـ-2009م،

- حسن رمضان فحلة، الإيمان والإسلام، ط1،دار البعث، الجزائر، 1404هـ-1984م،
- حسين الخشن، الاسلام والعنف " قراءة في ظاهرة التفكير"، ط1، المركز الثقافي العربي، المغرب، 2006.
- حمو بن عيسى الشيهاني ، الفكر العقدي عند الشيخ بيوض وآثاره في الإصلاح ، ط1 ،جمعية التراث ،غرداية ،1432هـ-2011م.
- رابح الكردي، محمد الحاج، كايد فرعوش ن محمد الخطيب، برنامج التربية رقم المقرر 5123، عقيدة إسلامية(1)، ط1،منشورات جامعة القدس المفتوحة، فلسطين، 1993م،
- راغب الأصفهاني، مفردات القرآن، تحقيق عدنان صفوان داودي، د.ط، دار العلم، دمشق، الدار الشامية بيروت، د.ت.
- زكي نجيب محمود، المعقول واللامعقول في تراثنا الفكري، ط3، دار الشروق، بيروت، 1981م -1401هـ.
- سعيد حوّى، الأساس في التّفسير، ج1، ط1، دار السلام، القاهرة، 1424هـ،
- سيد سابق، العقائد الإسلامية، ط2، مطبعة حسان، مصر، بدون تاريخ.
- سيد قطب، في ضلال القرآن، المجلد 1،ج2، ط32، دار الشروق، القاهرة، مصر،، 1423-2003م،
- طاهر جابر العلواني، اصلاح الفكر الإسلامي، ط1، دار الهادي، بيروت، 1431هـ-2001،
- طه جابر العلواني، أدب الاختلاف في الإسلام، ط1، كتاب الأمة، قطر، جمادى الأولى 1405هـ
- عبد الرحمن االنحلاوي، أصول التربية الإسلامية واساليبها في البيت والمدرسة والمجتمع، ط2، دار الفكر، دمشق، 2004م،
- عبد العال سالم مكرم، أثر العقيدة في بناء الفرد والمجتمع، ط1، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1408هـ-1977،
- عبد الفتاح أبوغدة، الرسول المعلم صلى الله عليه وسلم وأساليبه في التعليم، ط1 دار البشائر الإسلامية، بيروت، 1417هـ -1996م

- عبد اللطيف بن علي السلطاني، في سبيل العقيدة الإسلامية، ط1، دار البعث، قسنطينة، الجزائر،، 1140هـ -1982م،
- عبد الله عزام، العقيدة وأثرها في بناء الجيل،د.ط، بيت المقدس، 1440هـ-2019م،،
- عبد الوهاب المسيري، حوارات مع الدكتور عبد الوهاب المسيري في الثقافة والمنهج، تحرير سوزان حرفي، ط1، دار الفكر، دمشق، 1430هـ-2009م
- عمر بسيوني، قراءة في الدرس العقدي المعاصر "قراءة في الخطاب الشرعي"، ط1، مركز نماء للبحوث والدراسات، بيروت، 2015م.
- عمر سليمان الأشقر، كتاب سلسلة العقيدة في ضوء الكتاب والسنة (1) العقيدة في الله، ط12،دار النّفائس، الأردن، 1419هـ-1999م،
- عبد الرحمان النحلاوي ، أصول التربية الإسلامية وأساليبها، ط، دار الفكر، 1428هـ - 2007م.
- محمد محمود ساري حمادنة، خالد محمد عبيدات، مفاهيم التّدريس في العصر الحديث طرائق –أساليب –استراتيجيات، ط1، عالم الكتب الحديث، إربد، الأردن، 2012،
- ماجد عرسان الكيلاني، تطور مفهوم النظرية التربوية الإسلامية، ط2، مكتبة دار التراث، 1405 هـ–، 1985م،
- مالك بن نبي، مشكلات الحضارة ميلاد مجتمع، ج1، شبكة العلاقات الاجتماعية، ط1، دار الوعي للنشر والتوزيع، الجزائر، 1434هـ- 2013م،
- محمد إبراهيم شنيقرة، المجتمع الربّاني، ط2،المكتبة الإسلامية، عمان –الأردن–، 1411هـ-1991م
- محمد أبو زهرة، المعجزة الكبرى القرآن، بدون طبعة، دار الفكر العربي، بدون تاريخ.
- محمد أحمد محمد عبد القادر خليل ملكاوي، عقيدة التوحيد في القرآن الكريم، ط1، مكتبة دار الزمان، بدون بلد النشر، 1985م.
- محمد البهي، الفكر الإسلامي والمجتمع المعاصر، ط2، دار الكتاب اللبناني، بيروت،، 1982م.

- محمد الصّادقي العماري، أصول تدبير الاختلاف في القرآن الكريم،، ط1، المعهد العالمي للفكر الإسلامي،، المملكة الأردنية الهاشمية، 1440هـ -2023م.
- محمد الغزالي، خلق المسلم، ط15، مكتبة رحاب، الجزائر، 1408هـ-1987م.
- محمد الغزالي، سر تأخر العرب والمسلمين، د.ط، دار البعث قسنطينة (الجزائر)،1406هـ، 1986م.
- محمد الغزالي، الاسلام في وجه الزحف الاحمر، ط1، دار الاسلام، الجزائر، بدون تاريخ .
- محمد الغزالي، تأملات في الدين والحياة، ط1، دار السراج، بيروت، 1431 هـ-2010م.
- محمد الغزالي، ليس من الاسلام، ط1 القاهرة، دار الشروق، 1418هـ، 1998م.
- محمد المبارك، نظام الإسلام القيدة والعبادة، ط4،دار الفكر،بيروت، 1395هـ-1975م.
- محمد سعد اليوبي، مقاصد الشريعة الإسلامية وعلاقتها بالأدلة الشرعية، ط1،دار الهجرة، 1418هـ -1998م.
- محمد سعيد رمضان البوطي، كبرى اليقينيات الكونية، ط6، دار الفكر، دمشق، 1417هـ-1997م
- محمد عمارة، القدس بين اليهودية والإسلام، د.ط، نهضة مصر، القاهرة، نوفمبر1999م.
- محمد عمارة، في التنوير الإسلامي (35) هل المسلمون أمة واحدة، د.ط، دار نهضة مصر. مصر يونييه 1999م.
- محمد عمارة، في فقه الصراع على القدس وفلسطين، ط1، دار الشروق، مصر، 1426هـ _ 2005م.
- محمد عماره، هذا هو الاسلام، السماحة الإسلامية(2)، حقيقه الجهاد... القتال... والإرهاب، ط1، مكتبه الشروق الدولية، 1426 هـ/ ديسمبر 2005م.
- محمود محمد عواد الهيشان، جوانب الفكر والتفكير في القرآن الكريم، رسالة ماجستير في الشريعة، جامعة اليرموك، الأردن، 1996م.
- محمود يعقوبي، المنطق الفطري في القرآن الكريم، د.ط، ديوان المطبوعات الجامعية، الساحة المركزية بن عكنون،الجزائر،2000م.

- مسعود بن عمر بن عبد الله سعيد التفتازاني، شرح المقاصدتحقيق عبد الرحمن عميرة، ط2. المجلد 1،عالم الكتب، بيروت، 1419هـ-1998م.
- مصطفى السّباعي، المستخلص في تزكية الأنفس، ط11، دار السلام للطبعة والنشر والتوزيع والترجمة، مصر، 1425هـ- 2005م .
- مصطفى وينتن، محمد بابا عمي، أصول الإيمان التوحيد ووحدة الأمة، ط1، دار الفكر، دمشق، 1438هـ-2017.
- نخبة من العلماء، كتاب أصول الإيمان في ضوء الكتاب والسنة، بدون طبعة، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، المملكة العربية السعودية، 1421هـ.
- نسيم شحدة ياسين، شرح الأصول العقيدة الإسلامية، ط1، مطبعة التقوى، فلسطين، 1420هـ-1999م.
- نعيم يوسف، أثر العقيدة في حياة الفرد والمجتمع، ط1، دار المنارة، المنصورة، 1421هـ - 2001م.
- وهبة الزحيلي، التفسير الوجيز على هامش القرآن العظيم، ط1، دار الفكر، دمشق، 1415هـ -1994م، الجزء 19.
- يوسف القرضاوي، الإيمان والحياة، مؤسسة الرسالة، ط19،، 1421هـ -2001م،
- يوسف القرضاوي، التربية الإسلامية ومدرسة حسن البنا، ط3، مكتبة وهبة، القاهرة، 1412هـ-1992م.
- يوسف القرضاوي، القدس قضيه كل مسلم، ط1، مكتبه وهبة، القاهرة، 1421هـ _ 1419هـ.
- عبد المجيد النجار ، الإيمان بالله وأثره في الحياة ،ط1،دار الغرب الإسلامي ، بيروت ،1997م.
- عبد المجيد النجار ، مباحث في منهجية الفكر الإسلامي ، ط1، دار الغرب الإسلامي ، بيروت ،1992م.
- عبد الله بن عبد الرحمان الجربوع ،أثر الإيمان في تحصين الأمة ضد الأفكار الهدامة، ط1،ج1، الجامعة الإسلامية ، المدينة المنورة ، 1423هـ -2003م.

- هيفاء حسن نعمة، مقال بعنوان " مفهوم المقاصد العقدية وأهميتها "مجلة كلية العلوم الإسلامية، العدد67، جامعة بغداد، 23صفر 1443هـ-30أيلول 2021هـ.

رابعا: المعاجم والموسوعات

- أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم ابن منظور ، لسان العرب، ، د.ط، دار صادر بيروت،. بدون تاريخ النشر.
- أحمد بن فارس بن زكريا، معجم مقاييس اللغة، تحقيق وضبط عبد السلام محمد هارون، د.ط، ، دار الفكر للطباعة والنشر، سوريا، بدون تاريخ النشر.
- أحمد بن محمد بن علي الفيومي، المصباح المنير في غريب الشرح الكبير، ط2،دار المعارف، تحقيق عبد العظيم الشّناوي، بدون تاريخ النشر.
- مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروز ابادي، القاموس المحيط، تحقيق أنس محمد الشامي وزكريا جابر أحمد، د. ط، دار الحديث، القاهرة،، 1429هـ-2008م.
- الموسوعة الفقهية، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، الجزء1،ط2، طباعة ذات السلاسل، الكويت، 1404هـ-1983م.

خامسا: المقالات والدوريات

- أمين عبيد فهمي. مقاصد العقيدة الإسلامية: مفهومها وأنواعها وأدلة اعتبارها، مجلة كلية الآداب ع. 51، (30 إبريل/نيسان 2019).
- أحمد عبد الصمد محمد الأمين، وسطية العقيدة الإسلامية وأثرها في تحقيق الأمن الفكري، مجلة أبحاث، المجلد 11، العدد 1، مارس، كلية التربية، جامعة الحديدة2024م.
- لطفي عبد الرحمان الهلباوي، بحث بعنوان "مراعاة المقام العقدي في الدرس العقدي منذ العهد النبوي حتى عصر الميتافيرس"، مقدّم إلى المؤتمر العلمي الدولي الخامس(مراعاة المقام وأبعاده التداولية في الفكر العربي والإسلامي المنعقد في 18مارس 2023م،كلية الدراسات الإسلامية والعربية للبنات بالإسكندرية، جامعة الأزهر.
- حسين صابر أحمد، العقيدة اليهودية وأثرها على الشخصية اليهودية ، مج11, ع38 مجلة آداب الفراهيدي كلية الأدب، جامعة تكريت، العراق.

- سعيد عمر بن دحباج، مقال بعنوان "مراجعات في فقه التّحلية والتّخلية: من منظور قرآني "، مجلة مركز جزيرة العرب للبحوث التربوية والإنسانية، المجلد 1، العدد3، 30أكتوبر2019م.
- طارق بن سعيد القحطاني، بحث بعنوان " مفهوم الأصول والفروع في العقيدة وتطبيقاته الخاطئة، مجلة العلوم الشرعية ،العدد39 قسم العقيدة، كلية الدعوة وأصول الدين، الجامعة الإسلامية، المدينة المنورة،2020م.
- عمار جيدل،، أصالة التجديد في درس العقيدة مجلة الاحياء، كلية العلوم الاسلامية، جامعة باتنة 1، ع5، 1423هـ-2002م.
- عمرو شريف ، وهم الإلحاد ، تقديم محمد عمارة ، مجلة الأزهر، د.ط ،مصر ،1435هـ-2013م .
- عبد المجيد النجار، مقاصد القرآن في تزكية الإنسان، مجلة إسلامية المعرفة، العدد95،السنة الرابعة والعشرون، شتاء 1440هـ-2019م.
- عمر مبركي ، مداخل تطوير الدرس العقدي من خلال التراث العقدي بالغرب الإسلامي ،مجلة إسلامية المعرفة ،السنة 25 ، ع97 ، 1440هـ -2019م.
- عمران بودقزدام، الدرس العقدي الإسلامي المعاصر، مجلة الصراط، المجلد 22، ع 2، جامعة الجزائر، كلية العلوم الإسلامية، خروبة، سبتمبر2020م.
- عائشة بنت محمد بن سعد القرني، العقيدة الإسلامية وأثرها على المجتمع دراسة عقدية دعوية، المجلة العلمية ب لكلية أصول الدين والدعوة بالزقازيق ،قسم الشريعة والدراسات الإسلامية، المجلد36 ، العدد 1،يناير 2024م.
- علاء عبد علي السعيدي، دليل الفطرة وبداهة المعرفة الفطرية، مجلة العقيدة، المركز الإسلامي للدراسات الاستراتيجية، العدد29، العراق،، شتاء 2024م.
- فاطمة أبوزيد، نماذج من العلاقات الدولية في العالم الإسلامي، مجلة إسلامية المعرفة، السنة الثالثة والعشرون، العدد 91،شتاء 1439هـ -2018م.
- محمد قاسم حدبون، المرجعيات في المنظومة الفكرية والتراثية للمذاهب الإسلامية، مجلة الدراسات الإسلامية، قسم العلوم الاسلاميه، جامعه الأغواط، العدد 7، جوان 2006م.

- محمد طباخ، العربي بن الشيخ، مقال بعنوان تدبير الاختلاف العقدي بين المسلمين في فكر الشيخ إبراهيم بيوض، مجلة آفاق علمية، المجلد 11، العدد03، جامعة باتنة، 2019م .
- محمود بن عبد الرحمن قدح، موجز تاريخ اليهود والرد على بعض مزاعمهم الباطلة، مجلة الجامعة الإسلامية، المدينة المنورة، العدد 107، السنه 29، 1418هـ- 1419هـ.
- نور الدين بولحية، ظاهرة الإلحاد المعاصر بين المسلمين وأسبابها العلمية والفلسفية، مجلة الإحياء، جامعة باتنة، المجلد 18، العدد 21، جوان 2018م.
- يحيى محمد عامر راشد، مؤسسات البناء الفكري في ضوء القران الكريم، مجلة كلية الدراسات الإسلامية والعربية للبنات بدمنهور، جامعة الأزهر، المجلد 3، العدد 3 (30 يونيو/حزيران 2018م).

- أحمد بن حمد الخليلي، أمه الإسلام أين؟ مسيرا ومصيرا ، منشورات الموقع الإلكتروني: https://baseera.info

أحمد عبد الصمد محمد الأمين، وسطية العقيدة الإسلامية الموقع :
: http//abhath-ye.com

- ابن قيم الجوزية، التبيان في أقسام القرآن ، المجلد 1 الموقع الإلكتروني : https://ito.lib.eshia.ir

جامعة بابل.،التدريس: مفهومه، استراتيجياته، طرائقه، أساليبه جامعة بابل، -
الموقع الإلكتروني https://www.uobabylon.edu-

- حسان عبد الله ، تبديد العقل المسلم الموقع الإلكتروني /https://islamonline.net-
.

عبد الله غالب الحميري، مقال بعنوان " جاهد بالسنن الموقع الإلكتروني :
//shouhoud.com- .

محمد الطاهر بن عاشور، التحرير والتنوير، ج17، نقلا عن الموقع الإلكتوني:
-https://www.islamweb.net

مفرح بن سليمان قيم السلوك مع الله عند ابن قيم الجوزية،:
-https://www.islamweb.net/ar

محسن صالح، حقائق وثوابت في القضيةالفلسطينية، رؤية اسلامية،
https/www.alzaytouna.net

محمد شقير، ظاهرة التفكير، عوامل النشأة وطرق العلاج، مجلة المنهاج
https://www.iicss.iq

محمد الغزالي السقا، محاضرات الشيخ محمد الغزالي في اصلاح الفرد والمجتمع ،الموقع الإلكتروني https://www.noor-book.com

نجوى أبو ترك ، أثر الإيمان على السلوك الإنسانيّ، •-https://books.almaaref.org/

ناصيف نصار، مفهوم الأمة بين الدين والتّاريخ ، دراسة في مدلول الأمة في التراث العربي الإسلامي، الموقع الإلكتروني: https://koha.birzeit.edu

فهرس الموضوعات

فهرس الموضوعات

الإهداء .....

الشكر .....

قائمة الرموز والإشارات .....

ملخّص الدراسة:.....

مقّدمة..... 1

مبحث تمهيدي :ضبط المصطلحات..... 6

المطلب الأول: مفهوم العقيدة الإسلامية وعلاقتها بالإيمان 8

الفرع الأول: تعريف العقيدة الإسلامية..... 8

الفرع الثاني: خصائص العقيدة الإسلامية. 10

الفرع الثالث : أصول الإيمان 12

المطلب الثاني: مفهوم الأثر والسّلوك.....19

الفرع الأول: تعريف الأثر 19

الفرع الثاني: تعريف السّلوك 20

المبحث الأول: الدرس العقدي ودوره في تفعيل العقيدة.....23

المطلب الأول : مفهوم الدرس العقدي وأهميته 25

الفرع الأول: تعريف الدّرس العقدي 25

الفرع الثاني: أهمية الدّرس العقدي وأبعاده الوظيفية 25

الفرع الثالث: معوقات الدرس العقدي.....30

الفرع الرابع : أقسام الدرس العقدي وسماته 33
المطلب الثاني : علاقة الدرس العقدي بالتزكية 36
الفرع الأول: تعريف التّزكية لغة واصطلاحا 36
الفرع الثاني: أهميتة التزكية في بناء السلوك 38
الفرع الثالث : أسسس التزكية ووسائل تحققها 45
المبحث الثاني :تحديات وتجليات الدرس العقدي 53
المطلب الأول: بناء الفكر الإسلامي والتّوجيه الفطري السّليم: 55
الفرع الأول: المرجعيات الضابطة للفكر الإسلامي 56
الفرع الثاني: مؤسسات الدرس العقدي وأدوات البناء الفكري 59
المطلب الثاني: توحيد الأمة وتدبير الاختلاف 64
الفرع الأول: توحيد الأمّة 64
الفرع الثاني: تدبير الاختلاف العقدي 68
المطلب الثالث: نماذج تطبيقية لأثر الدرس العقدي 74
الفرع الأول: القدس وحقيقة الصراع العقدي 74
الفرع الثاني: دور الايمان في الدفاع عن الإسلام 83
خاتمة 94
فهرس المصادر والمراجع 96
فهرس الموضوعات 107